عبد الباقي يوسف

سـو رين

روايـة

عبدالباقي يوسف
سورين
رواية

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية عشرة والربع ظهراً عندما دلفت السيدة /سورين/ مبنى الجريدة اليومية، وطلبت من أحد الموظفين أن تقابل رئيس تحريرها السيد /دَشتي/.

أرشدها الرجل الثلاثيني الذي يعمل مصوراً في الجريدة إلى حيث مكتبه، ولمّا أدرك أنها تدخل المبنى لأول مرة، ولم تتعرف على الركن الذي يقع فيه المكتب، سار معها خطوات وهو يرحب بها بلطف حتى أشار لها إلى باب مفتوح بأنه مكتب الأستاذ.

عندئذ، لفتت نظرها العبارة المكتوبة على الباب/رئيس التحرير/. شكرته بكثير من الامتنان، وخطت نحو الباب حتى رأت نفسها أمام امرأة على قدر لابأس به من الجمال، سمراء البشرة، وبدا أنها لا تولي المكياج أي عناية، ترتدي نظارة وهي مستغرقة في قراءة كتاب باللغة الكردية، كما لو أنها على وشك أن تلج بين صفحاته.

لبثت واقفة أمام استغراقها دون أن تتجرأ لتخرجها من نشوة حالتها، وبعد لحظاتٍ تراجعت بضع خطوات إلى الخلف حتى أصبحت خارج المكتب، ولبثت تصوّب إليها نظراتها من بعيد.
بعد نحو عشر دقائق، رفعت المرأة رأسها من الكتاب الذي كانت مستغرقة في قراءته، فوقعت حدقتاها على السيدة التي تقف بالقرب من الباب.

هبّت من كرسيها واقفة وهي تقول: تفضلي .. تفضلي عزيزتي .. أنا آسفة، هل من خدمة يمكنني تقديمها لك؟
عندئذ، خطت سورين خطوات إليها، ومدّت كفها لتصافحها بكثير من الود، أجابتها بمدّ كفها قائلة: تشرفتُ بك سيدتي.
قالت: أريد أن أقابل الأستاذ؟
رحبّت السكرتيرة بحضورها، بيد أنها قدّمت اعتذارها الشديد قائلة: من سوء حظ الأستاذ سيدتي أنه غائب عن المكتب هذا الوقت.
لبثت واقفة قليلاً وكأنها فكرت في أمر ما، ثم ما لبثت أن حزمت أمرها قائلة: بل هو من سوء حظي سيدتي، عموماً فرصة سعيدة تعرفتُ فيها على امرأة ودودة.
أجابتها السكرتيرة وقد ارتسمت بسمة على ثغرها: هندرين.

هزّت رأسها وأجابتها مبتسمة: غمرتني بلطفك يا هندرين، حقاً أنا سعيدة بمعرفتك، اسمي سورين.

قالت السكرتيرة: إنه من حسن حظي يا سيدتي لأنني حظيت بفرصة التعرف إلى سيدة طيبة مثلك.

في تلك اللحظات، أصدر هاتفها الخلوي رنيناً تصاعدياً، فاستأذنتها لتردّ، وعلى الفور قالت وهي تلقي نظرة سريعة إلى الشاشة: إنه الأستاذ. ثم قالت: نعم أستاذي.

-: أنا في الطريق إلى المكتب ياهندرين. قال الجملة وأغلق الخط على الفور.

دعتها إلى الجلوس قائلة: من حسن حظه وحظي ، جاء قبل أن تنصرفي، أقل من ربع ساعة وسيكون هنا.

اقتعدتْ الكرسي بالقرب منها وهي تقول: أكرر لك اعتذاري الشديد عزيزتي، أشعر بأنني أخذت الكثير من وقتك.

ثم ألقت نظرة إلى الرواية التي كانت تقرأها وأردفت: لقد قطعتُ عنكِ متعة القراءة.

قالت: من الدروس الجيدة التي أفدتها من الأستاذ أن القراءة هامة، لكنها ليست أكثر أهمية من الإنسان.

ذات يوم عندما دخل المكتب، ورآني منهمكة في القراءة، وكان البعض يجلس بانتظاره، دعاني عند انتهاء الدوام وقال: علّمتك أن القراءة هامة جداً ياهندرين.
قلت: أجل يا أستاذي، ولكَ الفضل في أنني قرأتُ مجموعة من الكتب لم أكن لأقرأها لولاك.
قال: اليوم أعلّمكِ بأن الإنسان يتعلم من الإنسان أكثر مما يتعلم من القراءة.

منذ ذلك اليوم، كلما يدخل شخص المكتب، أترك الكتاب الذي بين يدَي، ليقيني بأن ما لدى هذا الشخص هو أكثر أهمية مما في الكتاب، حتى لو لبث صامتاً، فإنني سأتعلم شيئاً جديداً من صمته، ومن حركاته، ومن قسماته، ومن نظراته، لايعلمني إياه الكتاب.
قالت: يبدو أن الأستاذ يحب القراءة كثيراً.

ضحكت وقالت: يحب القراءة كثيرا، لكن ليس بحجم حبه للتعرف على معظم شرائح الناس، إنه دائم الرغبة للتعرف على أناس لم يكن يعرفهم من قبل.
كل الموظفين والموظفات يأتون إلي ليستعيروا كتباً من مكتبة الأستاذ، حتى من خارج الجريدة يتوافد إلينا الناس كي يستعيروا الكتب، وهوكلما يتعرف على شخص، لايتوانى من تقديم النصح إليه كي يستمتع بمنافع

القراءة، ويوجهه كي يراجعني من أجل استعارة الكتب، كل يوم يا سيدتي يتوافد إلى هذا المكتب أشخاص حتى يستعيروا كتباً، وبين فترة وأخرى حينما تصدر كتب جديدة وتأتينا منها نسخ على سبيل الإهداء حتى تنشر الجريدة أخباراً عن صدورها، يشتري الأستاذ من ميزانية الجريدة نسخاً منها ويقول: أحقق من ذلك غايتين، الأولى تكون بمثابة التشجيع لطباعة الكتب، والثانية تكون في تقديم بعضها كإهداءات إلى محبي القراءة حتى تتأسس مكتبات ولو متواضعة في جميع بيوت إقليم كردستان

عندما يقوم الأستاذ بزيارة أي بيت، فإن أول ما يلفت نظره وجود مكتبة في هذا البيت، أم لا، فإن وجد مكتبة، تقدّم إليها وراح يستفتح زيارته بتأمل محتوياتها، ثم يباركها لصاحب البيت، وإن لم يجد مكتبة، يشعر بألم وهو يوصي صاحب البيت أن يجعل مكتبة في بيته حتى لو كانت صغيرة، لأن البيت الذي لاكتب فيه هو بيت خرب، ثم يخبره بأنه سيقدّم له مجموعة كتب على سبيل الهدية.
أحياناً يقول لي بأنه يحلم أن ينجح في مسعاه حتى لايبقى بيت في إقليم كردستان بلامكتبة منزلية .

نهضت السكرتيرة عندما لمحته قادماً وهي تقول: وصل الأستاذ.
عندئذ نهضت سورين أيضاً، وامتدّت بها نظراتها إليه وهي تراه لأول مرة، تنظر إليه يتقدم بشموخ وثقة وهو يتوقف للحظات ويلقي السلام على

كل مَن يصادفه، يتحدّث بضع كلمات ثم يستأنف خطواته وهي تنظر إليه بإعجاب شديد، تتأمل ثيابه الأنيقة، البدلة الرسمية مع ربطة العنق كما لو أنها جديدة يرتديها لأول مرة، حتى الحذاء يلمع كما لو أنه ينتعله للتو.

عندما وصل باب المكتب، بدا عليه أنها لفتت نظره، فتوقف وهو ينظر إليها نظرة عميقة قائلاً: أهلاً وسهلاً سيدتي.

مدّ كفه يصافحها قائلاً: تفضلي. ثم مضى داخلاً المكتب.

همستها السكرتيرة قائلة: ظن الأستاذ بأنك صديقتي

ابتسمت وهي تقول: أعتقد ذلك.

اتجهت السكرتيرة إليه على الفور، وأخبرته بأن تلك السيدة الجالسة هي ضيفته التي تنتظره منذ نحو نصف ساعة.

وقف على قدميه بحركة سريعة، واتجه إليها مقدماً عذره الشديد، وداعياً إياها للدخول.

نهضت المرأة وهي تبدي أسفها الشديد على حضورها في وقت غير مناسب قال: على الرحب والسعة، باب المكتب مفتوح في أي وقت يناسبك.

تقدّمت بضع خطوات، ثم توقفت كي يدخل قبلها، لكنه دعاها لتتقدّمه في الدخول.

قالت: لا يصح أستاذ، تفضل أنت.

أصرّ عليها قائلاً: لا، لا، أنت صاحبة فضل ببادرتك في الزيارة.

عند ذاك لم تجد بدّاً من الدخول، فمدّت خطواتها إلى أبهة المكتب الذي بدا أمام ناظرَيها غاية في الأناقة يتسم بطابع الفخامة كما لو أنه مكتب وزير.
بدأت تتأمل معالم المكتب وهي تستأنف خطواتها البطيئة حتى دعاها إلى الجلوس على كنبة، وما أن وضعت حقيبتها اليدوية على الطاولة واقتعدتْ كنبة، حتى قعد قبالتها على كنبة مقابلة.
بعد قليل تناهت طرقات خفيفة على الباب، دخلت على إثرها السكرتيرة متمتمة: موعد الغداء ماموستا جان.

ألقى نظرة إلى ساعة يده قائلاً: يمضي الوقت بسرعة.
وقفت سورين على قدميها قائلة: رؤيتك كانت أمنية قديمة بالنسبة لي وقد تحققت هذا اليوم، لايسعني سوى أن أعبّر لك عن بالغ شكري وتقديري على لطفك وكرمك بتحقيق هذه الأمنية.
قال: بل أنا أعبّر لك عن بالغ شكري على تكرّمك بزيارتي، وسوف أكون ممنوناً فيما لو تفضلتي عليّ بقبول دعوتي إلى وجبة الغداء.

نظرت إليه وهي تمتلئ يقيناً بأنها تقف إزاء إنسان فاضل كما كوّنت عنه صورة من خلال قراءة عموده الأسبوعي الذي يكتبه في الجريدة.
عشر سنوات مضت وهي تشعر كل أسبوع أنها على موعد مع شروق شمس جديدة كل أسبوع ترى إشراقتها الأولى لأول مرة، شمس تفتح أمام

روحها إشراقة أسبوع حافل جديد تضفي إليها حيوية لم يسبق لها عهد من قبل بها.

كانت تقف بدهشة أمام حجم ما يتمتع به من مساحة النبل والفضيلة ونقاوة الألق الإنساني، وهي تزداد رغبة فيما لو حظيت ولو مرة واحدة بشكل سريع كي تلتقيه وتتحدّث إليه وجهاً لوجه، بيد أنها كانت دوماً تؤجل فكرة المبادرة، وتكبح جماح رغبتها، تقنع نفسها بأن المهم هو حضور مثل هذا الرجل في مدينة هولير، وشعورها بأن شخصاً كهذا يعيش في هولير، تشرق عليه شمس هولير كل يوم. إنه على الأقل جاء ليحطم العدد سبعة الثابت منذ خمس سنوات دون أن يستطيع أحد زحزحته.

سبعة أشخاص فقط هم عصارة هولير، خمسة رجال، وامرأتان هم نتيجة عشر سنوات من تنقيب دؤوب عن جواهر هولير البشرية، هكذا تشعر بمتعة اكتشاف كنز إنساني جديد، تفوق متعة اكتشاف كنوز الأرض، فتركن إليه وتتنفس بنشوة طمأنينة الإنسان إلى الإنسان، أُنس الإنسان بالإنسان، تكامل الإنسان بالإنسان، تزداد طمأنينة بأن العالم بخير وهي تشم عبق رائحة فضيلة الإنسان من الإنسان.

كم غمرها إحساس بالنشوة في تلك اللحظة لأنها عثرت على إنسان يمكن له أن يحطم ذاك الرقم الذي بدا لها كما لو أنه لبث ثابتاً لا يتزحزح، كم من أناس سعوا إلى تجاوزه بيد أنهم منيوا بالفشل.

ها هي تحظى بمتعة الجلوس معه، ثم ها هو يدعوها كي تشاركه وجبة الغداء.
قالت: فضلك هذا يشرفني يا أستاذي، وأنا سعيدة ومعتزّة بدعوتك الكريمة هذه.
ثم سارا شطر غرفة هي بمثابة مطعم لموظفي الجريدة، جلسا إلى مائدة، وما لبث العمّال أن قدموا لهما وجبة الغداء.
بعد تناول الطعام الذي استغرق نحو نصف ساعة من الجلوس معاً، استأذنته وهي تكرر له عبارات الشكر والامتنان.
عندئذ نهض وراح يتمشى برفقتها في ردهة المبنى حتى أوصلها إلى الباب الرئيسي، حينها قال بأنه سيوصلها بسيارته، شكرته على ذلك وقالت بأن لديها سيارة، ثم اتجهت إليها.

لبث الرجل واقفاً وهو يلوح لها بكف الوداع حتى توارت السيارة عن ناظرَيه.

عندئذ آبت به أدراجه إلى المكتب، جلس قليلاً، فقدّمت له السكرتيرة كأساً من الشاي، وبعد أن فرغ من ذلك، دخلت عليه كرة أخرى حاملة المواضيع التي سوف تُنشر في صبيحة يوم الغد.

* * *

عندما تركته السكرتيرة وخرجت، بدأ ت أنامله في تقليب الصفحات، وهو يشعر بحالة من عدم التركيز في تصفح المواضيع.

أدرك للتو أن تلك المرأة التي ودّعته ما تزال مسيطرة على ذاكرته، تتقافز صورتها بين الصفحات، تتناغم عباراتها في مسمعه، نظراتها إليه تبعد احتمال أي تركيز في الصفحات التي بات يقلّبها بشكل أوتوماتيكي.
خطر له أنه لم يسألها عن اسمها، واكتشف للتو كمن استيقظ من حلم أنها انصرفت دون أن تترك أي وسيلة اتصال بها.

امتدّت سبابته إلى زر صغير، فدلفت سكرتيرته على الفور إثر سماعها نغمة الرنين وهي تقول بهدوء تام كما لو أنها تتحدّث ببحة: بخدمتك أستاذي، امرني.
رفع رأسه ينظر إليها، وبدا لأول مرة يعتريه شيء من الارتباك والتلعثم أمامها.

أخذ يبلع ريقه، ولمّا طال به الصمت والسكرتيرة تنتظر ما يقول في حالة تأهب، جمع شتات أفكاره وهمهم: ل اشيء يا هندرين، يمكنك العودة إلى مكتبك.
استدارت ماضية للخروج ومع إغلاق الباب خلفها ترامى صوته في سمعها: هل لك معرفة سابقة بتلك الزائرة؟
عادت إليه كرة أخرى وهي تقول: لا والله أستاذي، هذه أول مرة ألتقيها.

كم راودته رغبة جامحة فيما لو يسألها بطلاقة عنها، يسألها كل شيء كما لو أنه ظمآن في عز ظهيرة من تموز في صحراء قاحلة، لكنه كبت تلك الرغبة الجامحة، ووجه إليها الأمر بالانصراف.

عندما اقتعدت كرسيها، عاد ت نغمة الرنين إلى سمعها، فدخلت إليه قائلة: أمرك أستاذي.

نهض من خلف مكتبه وأخبرها بأنه سيعود إلى البيت، طالباً منها الجلوس على كرسيه خلف المكتب، كي تراجع الصفحات، ثم تسلّمها إلى الموظف الذي سوف يأخذها إلى المطبعة.

خرجت معه هندرين حتى باب الباب الرئيسي وهي تودعه، ثم عادت تجلس خلف مكتبه، لكنها رأت نفسها بدل أن تنفّذ ما طلبه منها رئيسها، تشرد بما آل إليه وضعه، وهي تستكشف ملامح الاضطراب على محياه.

في تلك اللحظات تسرّب إليها تخمين بأن تلك الزائرة تسببت في ذلك.

نحو عشر سنوات مضت عليها وهي تعمل سكرتيرة له حتى ترسخ لديها اعتقاد بأن السكرتيرة الماهرة يمكنها أن تتعرف على شخصية رئيسها أكثر من زوجته في الكثير من الجوانب، تتعرف على نقاط ضعفه، ونقاط قوته، تستكشف ملامح شخصيته، تتعرف على نمط مزاجه، تدرك العبارات التي تسره، والعبارات التي تغيظه، الأشخاص الذين يرتاح إليهم، والأشخاص الذين لايجد معهم راحة، و بلغت بها قناعة أنه في كثير من المواقف يبوح لسكرتيرته بما لايبوحه لزوجته.

يتيح لها عملها برفقته أن تراه في مواقف وحالات مختلفة ومتناقضة بما يمكنها أن تضع يدها على الحالة الشديدة الخصوصية لمزاجه العام، وتتحول شخصيته بالنسبة إليها إلى كتاب يمكن لها أن تقرأ ما تشاء فيه، لذلك كادت تجزم بأن تلك الزائرة تقف خلف ما بدر عليه من اضطراب حتى أنه لم يستطع أن يثبت في مكتبه إلى نهاية الدوام، بل لم يتمكن من مراجعة مواضيع الغد وهو الذي يصرّ بما أمكنه كي يراجع بنفسه هذه المواضيع قبل دفعها إلى المطبعة.

لم تكن تعلم أن ساعة مضت على شرودها دون أن تفعل شيئاً بالنسبة للعمل الموكل إليها لولا أن الموظف الذي سيأخذ المواضيع إلى المطبعة طرق عليها الباب، وطلب ذلك.

حينئذ أبلغته أن يعود بعد ساعة أخرى، وهي بنفسها سوف تقوم بمراجعة المواضيع بتوجيه من رئيس التحرير.
غاب الرجل نحو ساعة، ثم عاد متناولاً الإضبارة، في حين انصرفت هندرين إلى البيت متأخرة نحو ساعة ونصف عن موعد عودتها.

من جانبها رابت زوجته في الأمر عندما رأته يدخل على عجالة إلى البيت قبل موعده بساعة، يخبرها بأنه مرهق، ويحتاج إلى شيء من الراحة.

مازحته وهي تلمح سمة تكشيرة على محياه قائلة: في بيتك توجد راحة، وكذلك يوجد بسكوت.
ابتسم لملاطفتها، ثم رأى نفسه يطبع قبلة على خدّها ويتجه إلى غرفة النوم.
خلع بدلته على الفور، ثم ارتدى بيجامة النوم، فاعتراه إحساس بأنه خفف عن نفسه قليلاً، ثم ما لبث أن استلقى على ظهره في السرير، وقد سحب غطاء شفافاً إلى قمة رأسه، واستغرق في نوم عميق.

عندذاك لم يرق الأمر لزوجته عندما رأت هذا التبدّل على زوجها، فتمتمت في قرارة نفسها: ثلاثة مستجدّات بدرت منه في وقت واحد، لابد أن يكون هناك شيئاً ما قد حدث معه: تكشيرة، وعودة مبكرة، وقبلة على خدّي.

خطر لها أن تجري اتصالاً بالسكرتيرة علّها تخبرها بشيء ما، وعلى الفور، أجرت الاتصال، فقالت السكرتيرة بكثير من الاحترام: اتصالك بي سيدتي (روزان) خان، مبعث فخر واعتزاز لي، لكن لا أعرف عنه شيئاً سوى أنه خرج من المكتب بالفعل قبل موعد انتهاء الدوام بساعة واحدة، هذا كل ما أعرفه، لقد تشرفت باتصالك وسماع صوتك سيدتي.

عبّرت لها الزوجة عن شكرها وامتنانها، وهي تقول :(زور ممنون باجي هندرين) وطلبت أن تُقبّل أطفالها نيابة عنها، ثم أغلقت الخط.
زاد ذلك من مشاعر هندرين بأنه على غير عادته، وها هي حرمه تؤكد لها ما دار في خلدها.
عندما بلغت الساعة السادسة مساء، دخلت إليه زوجته حاملة فنجانَي قهوة، إلى جانب صحنٍ صغيرٍ من الكيك على سفرة، وندهته بخفوت.
بعد لحظات قليلة، فتح عينيه، ثم بدأ يتمطمط ويتأوه في السرير متمتماً: يبدو بأنني كنتُ مرهقاً بالفعل.
ثم تناول كأس الماء ورشف نصفها بلذة.
ترامى إذ ذاك صوت زوجته وهو يمدّ كفه إلى فنجان القهوة: حتى هذا العمل الذي تقوم به، يمكننا الاستغناء عنه، أنت تحتاج إلى راحة بسبب ما قمت به من عمل شاق متواصل خلال السنوات الماضية، يمكن أن توكل أحداً كي ينوب عنك في الجريدة.

لا أخفيكَ يا دشتي أننا بتنا نفتقدك كثيراً، حتى الأولاد باتوا يلحّون في أسئلتهم، لأننا لانكاد نراك خلال الأسبوع إلاّ يوم الجمعة عندما تكون العطلة.
قال: معك حق ياروزان، لكنني لا أستطيع أن أتخيل غيابي عن المكتب، هناك ألتقي بكافة شرائح الناس، وأتمكن من تقديم المساعدة لمن

أستطيع، أعتقد بأنني أفعل شيئاً مجدياً في حياتي من خلال هذه الجريدة التي أسستها منذ خمسة وعشرين سنة.

تناول قطعة كيك، فقالت: هذه صناعة محلية، ابنتنا تعلمت الطريقة من الإنترنت وصنعتها.
مدّ يده إلى قطعة ثانية، وأخذ يستلذ برشف القهوة برفقة شريكة حياته التي تشاركه احتساء قهوة المساء وتناول الكيك: لذيذة، هاهي بدأت تشعر بالمسؤولية تجاه البيت وتخفف عنك.
ضحكت وقالت: يا قلبي يا بنتي، لاأريد أن أرهقها في العمل، عندما أراها تجلي في المطبخ، أشعر بأنني أتعب أكثر مما لو قمتُ بذلك ، لكنني أتركها تمارس مسؤوليتها تجاه البيت.
ثم انهمرت دموع من عينيها وطفقت تقول: غداً سوف تتزوّج وتفتح بيتاً.
وأردفت بغصة علت حنجرتها: وو.. بلعت ريقها ..تتنن..
فأكمل زوجها قائلاً وهو يربت على كتفها: وتنجب لنا حفدة.
لايدري لماذا قفزت واقعة خطوبته لها، عندما ذهب مع أبيه وبعض أقربائه لخطبتها، يومها لم يكن يعرف كثيراً عن طبيعة المجتمع التركماني الهوليري، فأتاحت له روزان أن يتعرف على عظمة هذا الشعب، على مساحة الطيب التي يتمتع بها.
مع السنوات، بدأ يكتشف نقاء ونبل الإنسان التركماني ، وقد غدا صهراً لهم، تلك التقاليد العريفة، ذاك التديّن الأصيل النابع من عمق الفطرة،

بدأ كلما يرى تركمانياً، يشعر بحالة قرب منه، تنتابه مشاعر ود تجاهه وهو بشعر بحالة قرب منه لأكثر مما كان، بدأ يتعرف على عمق أصالة الإنسان التركماني في هولير.

لم تستطع زوجته الطيبة أن تتمالك نفسها من البكاء الذي انفجر منها، وغدا يتصاعد كما لو أنها طفلة عندما قفزت صورة ابنتها الأرملة (هيمن) إلى مخيلتها بغتة، وغدت تتمتم بصوت كسير: قربانك يا بنتي، ياكبدي عليها.
ثم استأنفت كما لو أنها تتوسل إليه: والله اليوم يا دشتي جان ، لابد أن تأخذني إلى هيمن، مضى أسبوع لم أرها، ولم أر ولدَيها.
انهمرت دموع سخية من عينيه وقال: لادين لهؤلاء، لامشاعر إنسانية.

ثم راح يشرد بذاك اليوم الأليم عندما كان في مبنى الجريدة، وأحس بحركة غير طبيعية وعبارات صاخبة تقول: وقع انفجار عنيف.
هرع الناس من كل حدب وصوب إلى المكان بيد أن الأمن لم يدع أحداً من الاقتراب وسط تعالي أصوات سيارات الإسعاف والصافرات، والأعيرة النارية، والصرخات.
لبثت ابنته مع طفلها هلعة عنده، فباتت أمها توليها عنايتها الفائقة لأنها كانت حاملاً في شهرها الثاني وتخشى عليها من سقوط الحمل.

كانت تصرخ وهي تقول: أريد أن أطمئن على زوجي، كان في تلك اللحظة داخل المبنى، ليته لم يذهب، ليته بقي في البيت.
في المساء وصلهم خبر استشهاد زوجها نتيجة الانفجار، فعاهدت المرأة نفسها أن تتفرغ لتربية ابنها، وعندما ولد ابنها الثاني، اتخذت ذاك القرار بشكل جازم، بعد أن أسمته باسم أبيه، وبدأت تقيم في بيتها مع ولدَيها.

عندما بلغت الساعة العاشرة والنصف ليلا، عاد دشتي برفقة زوجته من زيارة ابنتهما وحفيديهما بعد قضاء نحو أربع ساعات.

اتجه إلى غرفة نومه، شرد قليلاً وهو يتخيّل حال ابنته التي تعيش دون زوج، وتصرّ أن تكمل رسالتها في تربية ولديها وتقديمهما كي يفعلا شيئاً مجدياً لكردستان الحلم.
قالت له: إنهما من رجال هولير يا أبي، رجال كردستان المستقبل، لذلك أبذل كل ما باستطاعتي حتى أهيئهما لتلك المرحلة.

كانت هيمن منذ الصغر تتحدّث عن إقامة الدولة الكردية، وتقول بأن لامخرج للكرد سوى إقامة دولتهم، ولذلك درست العلوم السياسية حتى تخرجت، ثم أصبحت أستاذة في الجامعة التي تخرجت منها، حتى هذه الليلة قالت لأبيها بأنها ماتزال لاتوافق الذين يقولون بأن الوقت مازال باكراً بالنسبة لكردستان.

ضحكت بسخرية وقالت: عندما تقوم الساعة بعرف هؤلاء، سيحين موعد قيام دولة كردستان، يا لهم من مساكين، يعتقدون بأنهم حكماء، وليس هذا فحسب بل يسعون إلى إعطاء الآخرين انطباعاً بأنهم يقعدون على حكمة، والحقيقة يا أبي أنهم يستقرّون في مقاعدهم ويريدون أن تبقى الأمور على ما هي عليه، وهذا يعطي تصوراً بأنهم بلغوا غاياتهم، ولذلك تبدر المحاولات لزحزحة هذا الذي يعتقدون بأنه استقرار.

كانت ضربة الانفجار موجعة، وأكذب إن قلت أنها لم تكن موجعة، كانت استهدافاً واستنزافاً لكردستان المستقبل، أرادت أن تعيق قيام تلك الدولة.
يا أبي، إذا فكرنا في هذا الأمر، نحن لا نتقدم، بل نرجع مئات، وأحياناً آلاف السنين إلى الوراء لنستعيد أركان كردستان التي افتقدناها.

لبث ينظر إليها وهي تتحدّث بجدية، وتسعى إلى إخفاء ملامح التشنج التي بدأت تظهر على وجهها، وكذلك على نبرات صوتها: هؤلاء الذين يدّعون الحكمة، هم ليسوا أكثر من امتدادات لأولئك الذين نظروا بأن القاضي محمد كان مستعجلاً في إعلان /جمهورية مهاباد/، وسقوطه جعلهم يزدادون ثباتاً في رؤيتهم، ثم جعلهم لايفكرون مجرد تفكير بإعادة الكرة، لأن أي جمهورية في مخيلتهم هي تكرار لجمهورية مهاباد المنهارة في أفضل

أحوالها، وبالتالي لو كانت محظوظة لن تستغرق ما استغرقته سابقتها.
هذه هي الذهنية التي لبثت كاتمة على أنفاسنا ولا تدعنا نتحرر من عقدة هذه الجمهورية.
بصورة عامة يا أبي، تترك الانتكاسات التي يتعرض لها الناس أثراً سلبياً في مسيرة حياتهم القادمة بعد ذلك، فيلبثون أسرى تداعيات ما نجم عن تلك الانتكاسات، يلاحقهم رعب عودتها إليهم حتى يعيق تقدمهم في الكثير من أبواب الحياة، ويبقى الوجوم مسيطراً على سيماهم.
هذا الكائن المنتكس إنما هو كائن مسكون بشبح النكسة المروعة التي تعرّض لها وهزّت له أركان ومقومات حياته.

لبثت تتحدث وهو يصغي إليها بانتباه شديد، فقالت: تختلف الانتكاسات التي يتعرض لها الأفراد بصفة فردية، أو العوائل بصفة عائلية، أو القوميات بصفة قومية في مستوياتها ومفرزاتها، بَيدَ أن ثمة خيط يربط بين هذه الانتكاسات في درجاتها الثلاث، لكن رغم كل ما يمكنه أن ينجم عن آثار هذه الانتكاسات، فيمكن للفرد أو العائلة، أو القومية أن تسعى شطر الخلاص، وتنفض عن نفسها وبال هذه النكسة، فتكون بذلك أعاقت تحويل هذه النكسة إلى عقدة مزمنة في كينونتها.

لقد تعرضنا إلى هذه النكسة المروعة والهزيمة التي مُنينا بها نتيجة إسقاط أركان جمهوريتنا الأولى العتيدة بقوة الجيش سنة ١٩٤٦ عن عمر ١١ شهراً ، وخلع رئيس جمهوريتنا الأولى بقوة السلاح، والسيطرة على أرض الجمهورية المنهارة وشعبها.

لقد تركت هذه النكسة المروعة آثارها على مشاعرنا القومية، وأطفأت لدى البعض حتى الحلم بعودة تلك الجمهورية.

إنها يا أبي التَرِكة التي لبثت مهيمنة بجبروتها وآثارها على غالبية القادة الكرد، يطاردهم شبح نهاية ما آل إليه رئيس جمهورية مهاباد إذا هم أقدموا على خطوة تمردية كهذه .

لبثنا حتى هذا التاريخ بحاجة إلى زعيمٍ شجاعٍ تكلّله القومية الكردية بطلاً قومياً استثنائيا، وهو ينزع عن نفسه براثن النكسة، ويتحرر من قيودها، ويعلن بكل شجاعة إقامة هذا الحق التاريخي العادل لحفدة الكرد.

بدأت أمها تذرف الدموع وهي تستمع بصمت إلى جانب أبيها، فقالت:
لقد أصبحنا أغنياء، ولكن غنى المال لايُغني عن غنى الإنسان، ليس بوسع المال أن يشكل قوة للإقليم، ولكن الإنسان يشكل له قوة ويشكل

له ثباتاً، ولن يكون بوسع أحد أن يزحزح أركان إقليمٍ غنيٍ بالإنسان وبالمال.
لقد خرجنا من تجربة أغنى دول الخليج مالاً وأمناً واستقراراً عندما تعرّضَت للغزو وهي قائمة على كل ثرواتها الطائلة دون أن تستطيع مواجهة هذا الغزو، عندذاك اكتشفت بأن الغنى ليس بوسعه أن يجعل من أركان الدول ثابتة.
كردستاننا يا أبي ليس بوسعها أن تكون قوية إلاّ بأكرادها، هؤلاء هم القوة التي تجلب الثبات، وتستعيد أركان دولتنا العتيدة.

مسح الدموع من عينيه، وتمتم: رعاك الله يابنتي.
ثم مدّ يده إلى كتاب بالقرب من السرير، وبدأ يقرأ حتى ساعة متأخرة من الليل.

* * *

عندما استيقظ في الصباح، أحس بحيوية غير معتادة كما لو أنه يتأهب للذهاب في إجازة سياحة، حين اتجه إلى المغسلة، وبدأ يحلق ذقنه، لفت انتباهه عدم وجود حركة في البيت.
تناهى منه صوت: روزان .. روزان.

بعد قليل جاء صوت زوجته من غرفة البنات: هل تريد شيئاً يا دشتي؟
- : الساعة بلغت الثامنة، لماذا تأخر الأولاد في النوم، ألا دوام لديهم.
قالها وقد بدأ يغسل وجهه ويدندن بأغنية، ثم حمل الملقط، وخلع شعرة بيضاء كانت بارزة من فتحة أنفه.
تراءت له زوجته من خلفه في المرآة وهي تقول: ما شاء الله، أنت شاب هذا البيت، نهضتَ قبلهم، وهاأنت مشرق تبدو كما لو أنك ذاهب إلى عرس.
قال: وأنت كذلك عزيزتي تبدين مشرقة بخدّيك المتوردتين المشبعتين من نوم عميق.
قالت: لكن يؤسفني أن أخبرك بأنك لن تخرج اليوم إلى العرس، وسوف تعود إلى غرفتك لتكمل النوم.
جمد إثر سماع ذلك، وهمهم: خير يا روزان خان ؟!
ابتسمت وقالت: صح النوم نور عيني (بريز)، اليوم جمعة، أنت كلك من حصتنا أربعة وعشرين ساعة.
أحس بصدمة، كما لو أن أحداً قد رش عليه بغتة إبريقاً من ماء بارد، لأول مرة راوده شعور بأن هذا اليوم حل في وقت غير مناسب.
أعاد أدراجه إلى غرفته بخيبة، وقد ناست شعلة حيويته، تمدّد ثانية على السرير كما لو أنه خرج لاستخدام المرحاض ثم عاد إلى فراشه ليستكمل نومه.

للتو أدرك سبب رغبته الجامحة للذهاب إلى المكتب، أحس بأنه لابد أن يصارح نفسه بهذه الحقيقة ولا يواريها كما فعل في الساعات الماضية.
إذ ذاك بدا يتخيّل دخوله المكتب، وبعد نحو ساعة تدخل إليه هندرين قائلة: تلك الزائرة تريد لقاءك أستاذ.
ينهض من خلف الطاولة ويخرج إليها قبل السكرتيرة، يتقدّم إليها تسبقه كفه لمصافحتها: لقد غمرتني بكرمك سيدتي، لا يسعني سوى أن أعبر لك عن خالص امتناني، تفضلي، أهلاً وسهلاً.

تمدّ خطواتها، وتدعوه ليدخل قبلها، فيصرّ قائلاً: تفضلي سيدتي الكريمة على الرحب
والسعة.
تمتدّ بها خطواتها تحت إلحاحه، وتجلس على ذات الكنبة، ثم يجلس قبالتها، لايفعل شيئاً سوى أنه يتأمل جمالها الذي تتوّج بمسك النضج .
يتخيّل أن يأخذها إلى الجبال، يتخذ بيتاً هناك، يمضي معها شهراً لايفعل شيئاً سوى أن يتأمل مزايا ذاك الجمال، لعله يغدو على مقربة من سرّ الجمال.
في صبيحة يوم السبت، استفاق نشيطاً وهو يتمتم كما لو أنه يدندن بأغنية: اليوم يوم سبت، إنه ليس يوم جمعة.

ثم خرج قبل موعده بنصف ساعة، عندما وصل المكتب، لم ير أحداً سوى الحرس وبعض المستخدمين الذين تفاجأوا بحضوره المبكّر.

دلف مكتبه، وما لبث أن مدّ كفه إلى/الكونترول/ وأشعل التلفاز، ثم أخذ يقلّب القنوات، وفي أثناء ذلك أحس بأنه قفز على لقطة سريعة لفتت نظره في قناة كردية.
عاد إليها وتمتم: هذه هي . ثم بدأ يدندن مع الأغنية الكردية.
أحس في تلك اللحظات بأن الحياة طابت للتو، وأنه يقف في أوجها، عندئذ خطر له أن الرجل مهما تزوّج، ومهما تقدّم في العمر، فإنه لايُسقط من حساباته بأنه ذات يوم، قد يغدو عريساً.

عندما أحس بنشوة غامرة، أخذ يرفع شيئاً من الصوت، وهو يدندن مع كلمات
الأغنية.
بعد قليل تناهت إلى سمعه طرقات على الباب، أدرك بأن سكرتيرته وصلت، فقال دون أن يخفض من صوت التلفاز: ادخلي باجي هندرين، وهو لمّا يزل يدندن مع الأغنية.

عندما دخلت هندرين، بوغتت بما رأته عليه، وخال لها أنه عاد عشر سنوات إلى الوراء.

لم تخف سعادتها بذلك، فطفحت تتمتم: جعل الله كل أيامك سعيدة كهذه عزيزم .
لبث مبتهجاً، وعندما انتهت الأغنية، راح يقلّب القنوات حتى وقع على فرقة رقص تؤدي رقصة من التراث الكردي.
قال: الفن يجعلنا نكتشف جماليات الحياة يا هندرين.
قالت: الأهم من ذلك نكتشف جماليات أنفسنا.
قال: صحيح، لأن الذي لا يكتشف جماليات نفسه، لن يكون بمقدوره أن يكتشف الجمال الخارجي، أو يتذوّقه، للأسف لم يتح لي وقتي كي أستمتع بهذا الفن، مشاغلي حرمتني حتى من تلبية الدعوات التي تلقيتها لحضور الأعراس، والمشاركة في حلقات الرقص والدبكة.

ثم صمت قليلاً وأضاف: بل لا أجيد رقص أي لون من ألوان رقصاتنا بشكل جيد، أحياناً في عيد النوروز، أتجوّل بين الفرق الموسيقية وأستمتع بمشاهدة أشكال الرقصات.
ركن إلى شيء من الصمت، ثم أردف يقول: أظن بأن المرأة الجميلة عندما ترقص، تتفتح براعم أنوثتها، وتبدو أكثر إشراقة.

ابتسمت بسمة خجلى وقالت: هذا بالنسبة لك يا أستاذي، لكن بالنسبة للمرأة، يلفت نظرها كثيراً الرجل الوسيم عندما ينخرط في حلقة رقص، عندما تنظر إليه، تراه يزداد وسامة في ناظريها، ولذلك ترغب فيما لو

حظيت بشبك كفها في كفه وشاركته الرقص، إنها لحظتذاك تشعر بزهو كما لم تشعر به من قبل.
قال: أتحبين الرقص يا هندرين؟

قالت: والله يا أستاذي، لاأصدق إن قلت أنني لا أحبه، لكن بعد أن تزوجت وأنجبت، لم يعد هناك وقت للذهاب إلى الأعراس والمشاركة في الرقص إلاّ إذا رأيتني مضطرة إلى ذلك.
حين كنتُ صبية لم أكن أدع عرساً يفوتني دون أن أذهب إليه مع أهلي عندما كانوا يلبون الدعوة، أو كنتُ أصطحب أحد خوتي، ولا أخرج من العرس قبل أن أشارك في حلقات الرقص.

حتى بعد زواجي بسنتين كان يحدث ذلك، وكنت أذهب مع زوجي ونشارك في الرقص، لكن مع مرور الوقت بدأت أعتذر، خاصة بعد التزامي بالدوام، والآن بعد إنجابي لأولادي الأربعة، بدا ذلك بالنسبة لي شيئاً من الماضي.
عملي في المكتب، مسؤوليات الأولاد والزوج، الواجبات الاجتماعية، الطبخ.
هكذا أرني منهكة، أبحث عن وقت كي أرتاح فيه حتى يتجدّد نشاطي، ولا أخفيك - ماموستا جان- أحياناً يعتريني إحساس بأنني في الثمانين من عمري، ولستُ ابنة الثانية الثلاثين.

قال: الرقص هو تعبير عن نبض الحيوية في أي مجتمع، لذلك لا يخلو مجتمع من ابتكار ألوان وأشكال فنون الرقص التي تعبّر عن هوية هذا المجتمع، فتقول يا هندرين : هذه رقصة تركمانية، وهذه رقصة آشورية، وتلك رقصة فارسية، وتلك رقصة كردية .

الرقص هنا يشكّل علامة من علامات المجتمع، وكذلك فإن بعض الرقصات تخلّد مجتمعاتها وتقيها من الذوبان عندما تتآزر عليها الأمم وتسعى إلى محقها.

ونظراً لهذه المنزلة الرفيعة لما يقوم به ويؤديه فن الرقص الذي يسهم في تأصيل هوية الأمم، نرى الملوك، والأمراء، وكبار قادة الشعوب، يؤدّون رقصات شعوبهم العريقة في سائر المناسبات سواء أكانت وطنية، أو اجتماعية، وكذلك فإن الدول عندما تريد أن تقدّم تاريخ حضارة شعبها لكبار ضيوفها المميزين في زيارات تاريخية انعطافية، فإنها تقدّم لهم فرقاً تؤدّي ألواناً من لآلئ هذا الرقص، وما ذلك إلاّ لأهمية ما يؤدّيه ويحمله فن الرقص من وظيفة قومية معبّرة عن تقاليد وأصالة هذا الشعب.

الرقص عندنا يركّز على الفكرة الجمالية في أداء الجسد للحركات الراقصة، وهذا يعني أن الأساطير لم تستطع أن تقحم ذاتها في هذه الرقصات كما الأمر بالنسبة لرقصات بعض الشعوب الأخرى في العالم.

انظري إلى الرقصات الكردية، سترينها تُعنى بالجانب الجمالي من المنهج العام لعموم الرقص في حضارة وتراث شعبنا، هذا الجمالي الذي يتكلل بالمضون المعنوي، وهذا من شأنه أن يدفع - ليس الراقص فقط - بل الناظر أيضاً كي يمتلئ بحالة الرقص، لأن الرقص هنا تحوّل إلى عملية إرسال، وتلق في وقت واحد، فالراقص يستمتع ويتذوّق جمالية الرقص كما أن المشاهد إليه أيضاً يشاركه هذه العملية.

لبثت هندرين تصغي إليه، فقال: نظراً لأن شعبنا يغلب عليه الطابع الاجتماعي، وهو بفطرته ينزع إلى روح العلاقات الاجتماعية، فإن ذلك يجلو من خلال رقصاته التي تكون على شكل حلقات حيث تتشابك أكف الرجال والنساء في دوائر تتسع كثيراً وتبقى مفتوحة للتوسع واستقطاب المشاركين، وما ذلك إلاّ لأن الرقص هو ليس حالة فردية، بل هو حالة جماعية إشراكية بين الراقصين وبين الحضور، ولذلك ترين الناس ينهضون من أماكنهم ليدخلوا حلقة الرقص، وإن اتسعت الدائرة كثيراً، يصنع الراقصون حلقة ثانية ، ثم ثالثة حول بعضها البعض ، وهذا

يكون عندما يأخذ الحفل المخصص ذروة تألقه وتوهجه ، وقد أجاد الكرد في إبداع أغنيات مصاحبة لما تغتني به الذائقة الفنية من ألوان وأشكال الرقص والدبك الشعبي، مثل : مام عباسي، شيخاني، كُلشين، سويسكَي، سي كاف، بابله كان، عَيشوكي، روينه، به روبشت، زنكاني، ملاني، ياركوزل، وهي تتفرّع من عائلة الرقصات السورانية، والرقصات الكورمانجية، والرقصات الفيلية.

كل رقصة من تلك الرقصات - عزيزتي - تروي حكاية، يتحوّل الرقص إلى لغة بليغة، لكن ترويها حركات الأعضاء، وكل رقصة تتميّز بمقوماتها ، وبحركاتها الخاصة بها كي تقدّم الفكرة التي انبنت عليها عمارتها، فتشابك الأكف في الأكف، والرقص البطي من خلال تشكيل دائرة والتحرّك ببطء ضمن مسار دائري متّبع، يرمز إلى حالة، كما الأمر مع تشابك الأكف في الأعلى والرقص على إيقاع سريع والخروج عن الحلبة الدائرية والعودة إليها ، كما الأمر بملاصقة الأكتاف، أو التباعد بينها، لهذا فإن الضيف الغريب الذي يجلس وينظر إلى ألوان هذه الرقصات، وتلك الحركات المدروسة بذكاء، يُشكل تصوراً عن بنية هذا المجتمع، وتبلغه الرسالة التي قدّمتها له تلك الرقصات، وهو في حالة من الاستمتاع، ولعل ذلك يكون بالنسبة إليه أكثر بلاغة من حديث مباشر، فقد تمكّن فن الرقص أن يقدّم الرسالة بشكل أكثر بلاغة من فجاجة حديث مباشر.

أردف وهو ينظر بإعجاب إلى الفرقة الراقصة تؤدي رقصة فلكلورية من التراث الكردي: هنا لاترقصين فحسب؛ بل تتذوّقين نكهة الرقص، ولا تشاهدين فحسب، بل تتذوّقين نكهة ذائقة الرقص.

أيقنت هندرين أن أستاذها يمر بحالةٍ متوهجةٍ من العاطفة، ولا بد أن سورين قد حرّكت فيه مشاعره هذه العاطفة التي كانت راكدة، دون أن تستطع امرأة أن تحركها بكل هذه القوة.
كم مضت عليهما ساعات طويلة وهو يحدّثها عن أهمية أن يعيش الإنسان حالة الحب، أن يتحوّل الحب إلى سلوك يومي في حياته، أن يشعر بدفء إنسان يحبه كل الحب، وكم شكا لها أن هذه المعادلة لم تعد تتحقق مع زوجته، لايدري كيف تحوّل حبه لها إلى حالة كبرى من الاحترام، حتى غدا في درجة يغلب فيها الاحترام حالة الحب، لم يكن يعلم أن احترامه لها، سيفوق حبه لها، وأن ذلك يترك أثراً على صلب العلاقة الزوجية بينهما.
قفز كلامه إلى ذاكرتها: إنها امرأة طيبة للغاية، وقد أنجبتْ أولادي، وأهلها جميعاً وقفوا سنداً لي، وأدين لها بالكثير من أفضالها علي، لكن مع السنوات، لم أعد أشعر معها بحالة الحب التي تزلزل الرجل من عمقه، تجعله يمسي متيماً وهائماً، يتذوّق عسل لوعة الحب.
روزان زوجة، زوجة فحسب، وهي أم للأولاد، لا أتصور عودتي إلى البيت دون أن أراها، بل لاأتخيل حياتي دون هذه الشريكة التقية النقية

الصالحة، اعتدتُ على رؤيتها في البيت، على ماتقوم به تجاهي وهي تعبر لي عن محبتها، زواجنا مثله مثل أي زواج تقليدي، وعموماً هذا لاضير منه كثيرون يسعون إلى زواج مستقر كهذا دون أن يلمسوه، كثيرون يحسدونني على زوجة أصيلة وطيبة كهذه.

تصوّب إليه نظراتها وتتمتم في قرارة نفسها: مسكين لقد وجد الحب الكبير، لكنه جاء متأخراً، وفي وقت غير مناسب البتة، إنه يعيش حالة صراع حادة بين شريكة العمر التي يحترمها كل الاحترام، وبين حبيبة العمر التي يحبها كل الحب.

إني قلقة عليه، أعرف كم هو مرهف، وكم هو بريء، وكم يتمتع بحساسية مفرطة.

عندئذ رأفت بحاله وأرادت أن تخفف عنه فقالت: كأن قلبي يخبرني أن زائرتنا التي زارتنا في الأسبوع الماضي، ستزورنا مرة أخرى.

نظر إليها، أراد أن يقول شيئاً، لكنه تمهّل وكأنه تلقى نبأ، انتظر حتى يتأكد منه، فأردفت

قائلة : عندما رأيتها لأول مرة، شعرت بحب نحوها، كم كانت مؤدبة يا أستاذ، انتظرتْ نحو ربع ساعة فقط حتى لا تقاطعني من قراءة الكتاب الذي كنت أقرأه.

أحسّت من نظراته إليها بأنه يصغي إليها بإنصات، ويريد أن تستكمل حديثها، فقالت: سورين، ياله من اسم جميل، لقد أحببتُ حتى اسمها، كم كانت وديعة تلك السيدة الجليلة.

قال: صحيح ما تقولين يا عزيزتي، لقد تناولنا وجبة الغداء معاً، لكن ألم تقل لكِ أين تسكن؟
قالت: بلى يا أستاذ، قالت لي بأنها تسكن في شورش.
شورش .. قالها الأستاذ وهب واقفاً على قدميه: شورش .. بيتها لايبعد كثيراً عن جريدتنا.
قالت: لذلك راودني إحساس بأنها لابدّ أن تأتي قريباً.

كانت تتحدّث عنك بإعجاب جم، وتقول بأنها لا تنسى أفضالك عليها لأنها تعلمتْ من مقالاتك الكثير، في الواقع يا أستاذي كل ما فيها كان يؤكد لي بأنني أمام امرأة نادرة.
في تلك اللحظات أصدر الباب عدّة طرقا ، فاستدارت هندرين وفتحته ليدخل أحد المحررين.

تركته مع الأستاذ، وراحت تقبع خلف مكتبها، وقد اعتراها شعور بأنها استطاعت أن تخفف عنه، وتجنبه الحرج من تلك الأسئلة التي أحست بأنه يريد أن يسألها، بيد أنه يجد حرجاً في ذلك.

عندما انتهى الدوام، ركب دشتي سيارته، وسار بها نحو حي شورش، وحين أشرف على دخول الحي، لأول مرة راوده إحساس بأنه يدخل بقعة نفيسة، تأوي كائناً عزيزاً على قلبه.

كم أحس بالنشوة وهو يمضي في طرقات الحي، يوزع نظراته يمنة ويسرة، علّها تقع على تلك الكائنة التي داعبت شغاف قلبه منذ نظراته الأولى إليها.

مضى في الحي، ثم عاد متجهاً إلى البيت، دخل غرفة نومه، وراح يستغرق في نوم حتى المساء.

عندما بلغت الساعة السابعة والنصف، حلّ موعده اليومي للجلوس مع عائلته كي يتناولوا معاً وجبة العشاء، طقس يومي ينتظره كل فرد من أفراد العائلة بشغف، هذه العائلة المكوّنة من ثلاث بنات، وولدين، بقيت الابنتان والشاب في البيت بعد زواج الأخت الكبرى هيمن، والأخ الذي يليها سه ركوت.

يجلس الأبناء الثلاثة مع أبويهم في فرصة وحيدة تستغرق هذا الوقت الطويل، حيث مائدة العشاء، ثم يجلسوا جميعاً، يسهرون مع برامج التلفاز، يتناولون المكسرات، والفاكهة، والعصائر، والحلويات حتى تبلغ الساعة الحادية عشرة، فيودعهم وينهض إلى حجرة نومه، يقرأ حتى يغلبه النعاس، وينام.

هاهي امرأة تقتحم عليه أسوار عاطفته، تزلزله من الأعماق دون أن يعرف عنها شيئاً، دون أن يلتقيها سوى مرة واحدة قد لن تتكرر، إنها تخل بكل الموازين التي وضعها لحياته، يبدو بأنه لا يثبت في موضع، كأنه ينتظر شيئاً ما، من خلال طرقات الباب، من خلال رنين الهاتف، حتى عندما يفتح النافذة، ويلقي نظرة إلى الشارع، يعتريه إحساس بأنه سيقع على حدث سعيد ما في حالة ترقب دائمة لمفاجأة وكأنه على موعد معها.

مرّة أخرى طاب له أن يتخيّل تلك اللحظات الذهبية من عمره، تخيّلها خلسة كما لو أنه لص يختلس شيئاً خفية وبحذر شديد كي لا يضبطه أحد بالجرم المشهود.
تخيّل تلك المشاعر الغامرة التي دهمته وهو يجالسها، ويظفر بمتعة النظر إليها وهي تشاركه الطعام، كم راودته رغبة فيما لو غرز الشوكة بقطعة اللحم ودسّها في فمها، وهو يشعر بأنه في مملكة سحرية يأبى الخروج منها، بيد أن الوقت أخذ يمضي مسرعاً أكثر من أي وقت مضى، يمضي حتى ألفاها تودعه وتترك في أعماقه شعوراً بأنه ورقة خريف سقطت من أعلى شجرتها.

مضت تاركة إياه وحيداً كما لو أنه كان في حلم واستيقظ للتو مستعيداً بذاكرته لمعات تلك الوقائع.

شرد إذ ذاك بالعلاقة بين الحلم والذاكرة، إذا كيف بمقدور الحلم أن ينفذ إلى الذاكرة اليقظة، هاهو الحلم يترك بصمته في الذاكرة التي تستعيد التفاصيل كما لو أنها وقعت بالفعل على أرض الواقع.
همهم: إذن، الحلم جزء من الواقع يا دشتي، والواقع هو جزء من حلم، يستمدّ الحلم حلميته من ثنايا الواقع، ويستمد الواقع واقعيته من ثنايا الحلم.

في الحلم لا ينسى الحالم واقعه، وهو يتعامل مع الذين تعرّف إليهم في الواقع على أنها ذات المعرفة التي تحققت في الواقع وانتقلت إلى الحلم، فلو رأيت سورين في الحلم، سوف تتعرف إليها استناداً إلى معرفتك الواقعية بها، ولو لم تحدث بينكما معرفة في الواقع، لما تعرّفتَ إليها كذلك إذا رأيتها في الحلم.
لذا بدأ الناس يعوّلون على تفسير أحلامهم، والتفسير بمعناه الدقيق يعني مدى علاقة ما وقع في الحلم بمجريات الواقع، ودوماً فإن المفسّر يصيب في تفسيره على قدر نجاحه في ربط الحلم بالواقع لأن ما يهم الحالم بالدرجة الأولى هو مدى صلة ما حلم به بمجريات واقعه اليومي.

كم يطيب له أن يسترد كل لمسة من تلك اللمسات، كل لحظة من تلك اللحظات حتى وهو جالس مع أفراد أسرته، حتى وهو في ذروة انهماكه في

كتابة عموده الأسبوعي الجديد الذي لابدّ أنها ستقرأه، هكذا بدا وكأنه يكتب المقال لها فحسب، ولن يقرأه أحد سواها.
تقافز كلامها إلى سمعه عندما قالت بأنها تنتظر بشغف قراءة مقاله الأسبوعي، ثم بدأت تسرد عليه ماحفظته من تلك المقالات قائلة: إذا تخاصم رجل وامرأة ، فاعلم بأن الرجل على خطأ، وأن المرأة على صواب، حتى لو كان الرجل على صواب، وكانت المرأة على خطأ.
لم يملك نفسه من نوبة بكاء شديدة انفجرت في حنجرته، لبثت ماثلة أمامه وصوتها يتسرّب إلى سمعه: يمكن أن أتقبّل من الرجل أي تصرّف من منطلق الحرية الشخصية، بيد أنني لا أستطيع أن أتقبّل منه إساءته إلى المرأة، حينها فقط يمكن أن أبلغ مرحلة أعيد فيها النظر في رابط العلاقة بيننا.
قال: في اعتقادي يا سيدتي أن لا أحد ينغّص على المرأة حياتها سوى الرجل، حتى لوشكت المرأة من ألم في معدتها، فإن رجلاً ما يكون قد تسبب لها بذلك.

قالت : كذلك قولك الذي دوماً أردّده، وأعتقد بأنني قرأته منذ نحو سنة: الرجل دون المرأة، هو كائن يمشي على قدم واحدة، ويرى بعين واحدة، ويسمع بأذن واحدة، ويشم بفتحة أنف واحدة.
والمرأة مع الرجل، تمشي على قدم واحدة، وترى بعين واحدة، وتسمع بأذن واحدة، وتشم بفتحة أنف واحدة.

قال: قلتُ ذلك يا عزيزتي لأنني أعتقد أن المرأة تمتلك تجاه الرجل تسامح نقاء الأنوثة حتى لو بلغ بها العمر عتياً، ويمتلك الرجل تجاه المرأة رعونة خشونة الرجولة حتى وهو في سنواته الأولى.

ابتسمت، وبعد لحظات قالت: عندما قرأت بعض كتاباتك لصديقاتي، لم يترددن من كتابته، وأخذه لأزواجهن، خاصة عندما قلت: قبل أن توجه كلاماً مهيناً إلى زوجتك، احضر ابنتك ووجّه إليها ما تشاء من كلام مهين، وأنت تنظر إليها نظر العين، وهي تبادلك نظر العين، ثم اصرف ابنتك، واحضر امرأتك إلى ذات الركن، واعد لها ما أتاحت به أبوتك من قوله على مسمع ابنتها.

قبل أن ترفع يد الضرب على امرأتك، احضر ابنتك في خلوة، وسدّد إليها ما تشاء من ضرب، وأنت تنظر إليها نظر العين، وهي تبادلك نظر العين، ثم اصرف ابنتك، واحضر امرأتك إلى ذات الركن، وسدّد إليها ما أتاحته لك أبوتك على جسد ابنتها.

قال: إذا كانت الأم تنجب ابنها وتصطبر عليه وهناً على وهن حتى تجعله رجلاً، فإن الزوجة تتزوّجه وتصطبر عليه وهناً على وهن حتى تجعله أباً وتغدو امّاً لأولاده.

منزلة الزوجة هنا تتساوى مع منزلة الأم، لذا فإن الأم لاتشعر بطمأنينة على ابنها مهما كبر، ومهما علا شأنه، إلاّ عندما يتزوّج، لأنها عندذاك

فقط تشعر بأنها أودعته إلى أمّه الثانية التي سوف تستكمل معه مسيرة الأمومة.

لهذا فعندما يتجرّأ رجل ويرفع يده إلى زوجته بالضرب، فكأنما رفعها على أمّه، وعندما يوجه إليها كلمة بذيئة، فكأنما وجهها إلى أمّه، وعندما ينظر إليها نظرة مزدرية، فكأنما نظرها إلى أمّه.

للتو ولأول مرة في سيرته، يحسد الكلمات التي يكتبها، يحسدها لأنها ستقع تحت عينيها، وستحظى ببريق نظراتها السحرية، وتنام في حجرتها كما لو أنها عصافير.

سورين .. أين أنت الآن؟
ألن يرق فؤادك لحظة واحدة وتفكري ولو بطلّة خاطفة إلى مَن بات كله شوقاً إليك،

طلّة
خاطفة
واحدة
كما
لو

أنها
وقعت
سهواً .

مضى عليه شهر وهو يمرّ كل يوم في الصباح من حي شورش متجهاً إلى عمله، ويعود من ذات الحي عائداً إلى البيت.
بدأ كل مَن يراه يسأله عن سبب شحوبه وهزله، إضافة إلى تغيير سحنته، وتعكير مزاجه، ونوب الاضطراب التي تنتابه بشكل مفاجئ.
الأمر الذي جعل زوجته توليه الكثير من عنايتها الزائدة وقد باتت في حالة قلق عليه.

عند الساعة العاشرة، بينما كانت هندرين مستغرقة في الحديث مع بعض الزوّار الذين ينتظرون دورهم للدخول إلى مكتب الأستاذ، ألفت سورين تمدّ خطواتها داخلة، دهمها شعور مباغت مرافق لوقوع نظراتها عليها بأنها تتخيّل دخولها، وبعد لحظات عندما رأتها تقترب منها بالفعل، مسحت وجوه الزوّار بنظرة سريعة، ثم نهضت من كرسيها وقد بدا عليها الإرباك واضحاً وهي تستقبلها بحفاوة وتتبادل معها قبلات حميمية.

بدت أمامها كما لو أنها خرجت للتو من مملكة سحرية، وهي تمدّ نظراتها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، غير مصدّقة بأن التي تقف أمامها إنما

هي سورين التي تسببت بكل تلك الانعطافة في حياة الأستاذ، حتى بدأت تشفق عليه وهي تراه يهزل يوماً إثر يوم، يزداد اضطراباً، وشحوباً وهو يسعى بكل إمكاناته أن يخفي ذلك، ويتوارى خلف بسمات يتصنّعها، لاتمت إلى وضعه النفسي المؤلم بشيء .
كم تعتصر ألماً وهي تنظر إليه، يكظم غيظه، يواري الصراع الحاد الذي يعانيه والذي يتصاعد يوماً إثر يوم.
هاهي المرأة التي سوف تعيده إلى ماكان عليه.
تنظر إليها وهي تشعر بأنها أمام كنز، طلبت إليها أن تجلس على كرسيها خلف الطاولة، لكنها اعتذرت مفضلة أن تجلس على كرسي بجانبها، بيد أن هندرين أصرّت على ذلك، فأذعنت لمطلبها شاكرة إياها على لطف حفاوتها بها.

حينئذ أجرت اتصالاً هاتفيا مع عامل البوفيه وطلبت إليه أن يحضر كاساً من الحليب ، وعندما رمقت باب المكتب ينفتح ويخرج منه شخصان، طلبت من أحد الجالسين أن يتفضل بالدخول إلى الأستاذ.

ثم بدأت تكرر ترحيبها الحار بها، عندما ترامى إلى سمعها رنين من المكتب، استأذنتها وراحت تدخل إليه، طلب إليها الأستاذ أن تجري اتصالات بشأن مطلب الرجل الذي كان جالساً، فأومأت رأسها بالإيجاب، وهي تحاول أن تخفي حبورها بوجود زائرته المرتقبة.

كم تمنّت فيما لو كان المكتب خالياً من المراجعين، وأخبرته بما تخفي له من مفاجأة، بيد أنها عادت إلى مكتبه، وشرعت تُدخل المراجعين حتى خلا المكتب.
في تلك اللحظة خطرت لها أفكار كثيرة عن كيفية دخولها، فاهتدت أن تجعلها تدخل بمفردها، حتى يتلقى الأستاذ المفاجأة، ويستمتع بحرية استقبالها، ورأت أن دخولها مع سورين ولو للحظات قد يجعله يشعر بشيء من الحرج في إبداء حفاوته به.

تفضلي سيدتي.
قالتها وهي تدعوها للدخول، شكرتها المرأة وقد نهضت، مدّت خطوات وئيدة صوب الباب، وراحت تطرقه بخفوت.
قفز إليها صوت الأستاذ مؤذناً بالدخول، وما أن مدّت خطواتها الأولى إلى الداخل وكأنها ملغومة بشوقها إليه، رأته يجمد وهو يصوّب نظراته إليها.

دنت إليه وهو ما يزال في وضعه، مدّت كفها تسلم عليه، فنهض، وبدا لأول مرة يشعر بأن ركبتيه خذلتاه، ولم تفلحا في مساعدته للوقوف.
تناولته نوبة من الارتجاف، حتى أن صوته بدا يخرج على شكل نبرات متقطعة مرتعشة وهو يلفظ بالكاد: مرحباً بك .. مرحباً بك ..
جيانه كه م .

تناول شربة ماء، فرمتْ المرأة جسدها بذهول في ذات الموضع الذي جلست فيه المرة السابقة، بيد أنه بقي في كرسيه خلف المكتب، يسعى إلى استرداد أنفاسه، وتوازنه.

هل هو حلم؟
تمتم بهذه العبارة في قرارة نفسه، وبدا ينظر حوله جيداً، يلقي نظرة إلى الساعة، ينظر إلى الصور التي تتحرك في شاشة التلفاز الصامت.

لا يدري لماذا كان دوماً يخطر له أنها عندما تحضر، سيكون خارج المكتب، وستتصل به هندرين، تزفّ إليه خبر مجيئها، وحتى لو كان في المكتب، كانت ستدخل وتخبره، حتى يتهيأ ويستعد لاستقبالها، أما وقد ولجت على غفلة، وحتى هندرين لم تخبره، ولم تدخل معها ، فقد أثار ذلك شيئاً من الريب في نفسه بأن ما هو فيه قد يكون كابوساً، أو أن المخيلة شطحت به قليلاً، فلم يتردد من مدّ سبابته إلى زرّ المنبّه، لتدخل سكرتيرته قائلة: امرني ماموستا جان .

حينئذ بات على يقين بأنه في واقع، وأنها بالفعل تجلس في مكتبه، فطلب إذذاك أن تقدّم شيئاً للضيفة.
أومأت السكرتيرة رأسها بالإيجاب، ثم تراجعت بها خطواتها إلى الخارج، وقد أعادت إحكام الباب.

أخذت تنظر إليه وهي تتفاجأ بما آلت إليه صحته، بدا أمامها مستسلماً للذبول واليأس.
لكنه من الطرف الآخر بدا يشعر بأن الحيوية أخذت تسري في عروقه، وبدأت مسامات وجهه تتفتح ، يعتريه إحساس بأنه يستمتع بنظراته إليها.

دخلت السكرتيرة حاملة كأسين من عصير الرمان، وبعض الشوكولاه الفاخرة ، لفت نظرها لحظتذاك أن الأستاذ بدأ في وضع أفضل مما كان عليه وهو يتبادل الحديث مع ضيفته ورونق البشاشة يغمر محياه.

قامت بالضيافة، وانسحبت برفق، عندئذ قال لها دشتي: كيف تمضين وقتك الآن ؟
قالت: منذ ذلك اليوم وأنا مستمرة في البرنامج الذي وضعته لنفسي.
قال وكله رغبة كي يتعرف على شيء من تفاصيل حياتها: أي برنامج؟
قالت: عنايتي بولدَي تأخذ الصدارة من وقتي.

أحس كما لو أن صاعقة وقعت عليه بغتة.
امتدّت كفه إلى صدغه، وبدأ يضغط، بيد أن المرأة لبثت مستمرة: ثم أجد وقتاً أوليه لأبيهما، وأحياناً أخرج لأنقب عن معادن الناس.

في تلك اللحظة باغته إحساس بأنه يرتكب إثماً، فكيف يسمح لنفسه بالاستمرار في هذا الإثم وهو الذي عُرف في المجتمع بقوة ما يتمتع به من قيم وأخلاق.

لايدري كيف رأى نفسه منتصباً على قدميه، ثم دعا سكرتيرته كي تدخل وتشاركهما الجلوس.
بعد قليل، نهض بشكل مفاجئ، قائلاً بأنه مضطر للخروج حالاً.

* * *

دُهشت السكرتيرة، وكذلك لم تستطع الضيفة أن تخفي معالم دهشتها، بيد أنها لم تسمح لخيالها أن يستمرّ في المنحى السلبي، حتى فلحت في إقناع نفسها وأخذت الأمر بحسن نية، كما تفعل في سائر مواقف حياتها.

عند ذاك شرعت تقول للسكرتيرة: كان الله في عونه، ها هو يلاحق التزاماته دون كلأ.
بعد نحو نصف ساعةٍ من الجلوس، دعتها السكرتيرة إلى تناول وجبة الغداء، فقدّمت اعتذارها، لكن السكرتيرة قالت بأن ذلك سيكون مأخذاً عليها وعلى أستاذها، فكيف تركا ضيفة تنصرف في وقت الغداء، وهو سوف يعاتبها بشدّة إذا تركتها تنصرف دون ذلك.
عندما رأتها تلح في مطلبها، أبدت موافقتها، فنهضتا معاً، لدى دخولهما المطعم، سألها العامل عن الأستاذ لأنه على غير عادته، لم يحضر لتناول الغداء وقت تأخر الوقت، فقالت بأنه اضطر للخروج من المكتب.

عاد دَشتي إلى البيت، وهو في حالة صراع حادة، لبث يقظاً دون أن يقربه نوم حتى صباح اليوم التالي، فاتجه إلى مقر عمله دون أن يحلق ذقنه، وقد مسح بقليل من الماء على وجهه، ارتدى ثيابه دون عناية.
بعد نحو ساعة من جلوسه في المكتب، دخلت إليه هندرين وأخبرته بأنها استضافت المرأة إلى وجبة الغداء، فشكرها على بادرتها مع ضيفته، وبعد قليل رأى دموعاً تترقرق في عينيها، فسألها عن السبب، عندئذ شرعت تخبره عمّا تعانيه تلك المرأة التي تحدّثت لها عن جانبٍ من حياتها حيث كان زوجها مهندساً، وذات يوم وقع بينهما خلاف حاد أدى به إلى طلاقها تاركاً لها ولولديهما البيت، وبات يعيش في بيت بالأجرة.

بعد نحو شهرين من ذلك، سمعت بأنه سقط من بناء كان يعمل فيه مما أدى إلى فقدانه للذاكرة، حينها لم تتردد من الذهاب مع ولدَيها لزيارته في المشفى، وبعد نحو شهر من علاجه، أذن الأطباء لأهله كي يخرجوه، لكنها طلبت منهم أن توليه عنايتها، وتأتي به إلى بيته ليعيش مع ولدَيه، فأذنوا لها بذلك وباتوا على زيارات دائمة له.

سنوات طويلة مضت على الحادثة، ولم تر المرأة ما يملأ وقتها المتبقي سوى أنها تنقّب عن معادن الناس، تبحث في هولير عن أناس مميزين، هؤلاء فقط الذين يخففون عنها شيئاً من وقع ما أصابها.
عندما سمع ذلك من سكرتيرته، استبدّ به إحساس بأنه لابد أن يراها ويقدّم اعتذاره الشديد إليها، إذ ذاك قالت له السكرتيرة بأنها أعطتها رقم هاتفها كي يتبادلا الحديث، وأخبرته بأنها لم تشعر بأي حرج من خروجه المباشر.
أجرى الرجل اتصالاً بها على الفور ودون أي تردد ،عبّر لها عن اعتذاره الشديد لِما بدر منه عندما كانت في زيارته، فقالت سورين بأن لاشيء البتة، وهو من حقه أن يمارس حياته وفق الطريقة التي يرتئيها، ويرتب أوقاته كما يشاء.

عندئذ طلب إليها أن تزوره كي يقدم لها اعتذاره عمّا بدر منه.

كان ذلك بمثابة إشارة قوية أثبتت لسورين بأن تقييمها للرجل هو تقييم صائب، فقد بلغتها رسالته جلية من هذا الاتصال، أوضحت ما هو عليه من نقاء، ولذلك لم ترد دعوته، وقبلتها قائلة: هذا شرف رفيع لي يا سيدي أن تدعوني بنفسك إلى زيارة كهذه، وأنا أزداد شرفاً بقبولي لدعوتك الكريمة.

بعد خمسة أيام كان اللقاء المرتقب في مكتبه، كل مَن في البيت، وكل مَن في الجريدة بدأ يلاحظ عودة الحيوية إلى الأستاذ، كأنه كان يعاني تحت وطأة ثقل جاثم على صدره، والآن انزاح عنه ذاك الثقل، وبدأ يسترد عافيته.

عندما دخلت إليه في الساعة التاسعة والنصف صباحاً، رأت نفسها أمام تلك الإشراقة التي ألفته عليها، دخلت عليه بكامل أناقتها، أمضت نحو ساعتين وهي تستعد للقائه، عشرات المرات نظرت في المرآة، بدّلت ثيابها مرات عديدة، هيأت كل شيء كي تبقى محافظة على تفتح بشرتها.
في السابعة والنصف خرج ولداها ريوان، وديلمان إلى دوامهما الدراسي، لبثت مستريحة في فراشها بعض الوقت ترتاح مما بذلته حتى أحضرت الفطار لهما، ثم نهضت برفق من الفراش، أمضت نحو نصف ساعة وهي تستحم بعلبة الشامبو المنعشة، ثم خرجت من الحمّام وقد لفّت جسدها ببشكير حريري كبير، مدّت سبابتها إلى جهاز اللابتوب، فامتلأ

بيتها الأنيق بموسيقى هادئة، تناولت تفاحة حمراء كبيرة الحجم، ثم راحت تلقي جسدها في حضن الأريكة الناعمة تستلذ بتناول التفاحة.

عندما أشارت عقارب الساعة إلى التاسعة والربع، خرجت بخطوات متمهلة متجهة إلى سيارتها وهي تشعر بأنها زهرة تتفتح.
جلست خلف المقود، وما لبث أن انبعثت أغنية من مسجل السيارة، حينها غدت تقود بمتعة فائقة كأنها تكتشف متعة قيادة السيارة لأول مرة.

توقفت عجلات السيارة بمحاذاة رصيف المبنى، وبعد قليل هبطت وغدت تمدّ خطوات نحو الداخل بلياقة كما لو أنها لاعبة كرة سلّة.

بدأت تنظر إليه وهي تصغي باهتمام لما يقول، تكتشف لمسات جديدة من عذوبته، تزداد يقيناً أن الحياة ذاتها تبدو أكثر إشراقة بوجود أناس يتمتعون بتلك الدرجات المتقدمة من صفاء الروح الإنسانية.
تمتمت في سرّها: كردستاننا جميلة، لكنها تزداد جمالاً بوجود أناس يبدون كالصدف النادرة.
أدركت في تلك اللحظات أكثر من غيرها أن هؤلاء يجعلون من حبها لكردستان أمراً ممكناً، إذا ليس بوسع المرء أن يحب بقعة تخلو من مسك الإنسان الطيب، ولذلك يهجر الإنسان موطنه عندما يستثري فيه

الفساد، وتتفاقم فيه النزاعات العدوانية، يهجره ويلجأ إلى موطن آخر، يتعلق به على قدر ما يتعلق بمجتمعه، هكذا تأكد لها بأن أبناء كردستان بطيبهم هم الذين يزرعون حب كردستان في قلوب زوّارها، وهم الذين يروون بذور حبها في نفوس بعضهم بعضاً.

قالت: ما لفت انتباهي يا أستاذ أنني لم أعثر على أبطالي سوى في قاع الأحياء الشعبية، عثرت عليهم بين بسطاء هولير.

قال: هذه مرحلة تحولية مضطربة نعيشها في الإقليم، نحن لانقبل أن نكون إقليماً كما هي سائر الأقاليم التي تتبع للدول، وكذلك نتردد من إعلان الاستقلال، ورغم ذلك فإننا نمارس سلطة دولة مستقلة.

هذا الأمر لا يشعر به سواد شعب الإقليم بتلك الدرجات التي يعيشها يوماً بيوم مَن يديرون شؤون الإقليم، ولذلك بقي الناس على فطراتهم، على طيبهم، وعندما رأوا أنهم يعيشون في إقليم كردي، وهم ييقنون بأنهم يعيشون في دولة كردية قائمة، دفعهم ذلك كي يبرزوا مزايا طيبهم وفطريتهم وطبيعتهم بشكل أكثر مما كانوا عليه، لكن الأمر يبدو مختلفاً في وجهه الآخر بالنسبة لأهل السياسة والإدارة، وأعتقد أنهم رأوا أنفسهم في مصيدة السيادة، أصبحوا ضحايا هذه الاستقلالية ، إنني لا أخاف على الكرد من شيء قدر خوفي عليهم من ساستهم ، ولا أخفيك بأنني كثيراً ما أشعر بالشفقة على بعض الذين ألتقيهم من أهل السياسة بشكل مستمر بسبب طبيعة عملي.

عندما يسألني شباب عن توجيهي لهم في حياتهم الجديدة، أخبرهم أن يتجنّبوا ما أمكنهم الاقتراب من دوائر السياسة، لأن تلك الدوائر دوماً هي محفوفة بالأوبئة الروحية، وهي المواضع الأنسب لإعداد أجيال من الساديين، والمازوخيين، والشيزوفرينيين، إنها تطفئ إشراقة الإنسان الطبيعي، وتجعله يتوه في حلكة من رياء.
أشفق بالذي يلجأ للعمل في تلك الدوائر لأنني أراه يلج منعرجات لا تثير غير الشفقة، لأنه سوف يلقى الإخفاق في سائر مقومات حياته الطبيعية، وعلاقاته الاجتماعية، ليلقى نفسه في هوةٍ حُرم فيها من أصدقاء حقيقيين، من حب طبيعي، من عفوية مشاعر أبوية، من سوية علاقة مسالمة مع نفسه، أجل عزيزتي، مجرّد العمل في تلك الدوائر المخنوقة تدرّب الإنسان كيف يتدرّج في مسالك اللؤم، مسالك الحنكة، مسالك الإبهام، وكلما تقدمت به السنوات، ترسّخ في حالات الاحتراف في هذه المزايا أسوة بأسياده.

إنهم يثيرون الشفقة وأنا أرى بعض السلوكيات التي تبدر منهم ليس مع الآخرين فحسب، بل مع أنفسهم أيضاً، وهذا ما يجعلني أستوعب طبيعة المرحلة ربما أكثر من غيري، وأعتقد أن استيعابي لهذه السلوكيات والتصرفات التي أراها مرحلية وربما لابد منها ونحن نمضي قدماً نحو المستقبل الكردي، عملي في هذه الجريدة جعلني بالنسبة للجميع

شخصية إعلامية وسطية وتوافقية، وهذا ما أغتنمه في الكثير من المواقف، فأسعى إلى ردم هوة ما ينشب بين بعض الأطراف والأحزاب السياسية.

باتت السياسة تبعث القيء في نفسي، حتى صرتُ أتجنّب النظر في وجوه أهلها الملتهبة بالشر، عندما يغدو المرء مزارعاً، فإنه في أسوأ الاحتمالات لدى حدوث خلاف بينه وبين مزارعين آخرين بسبب جودة الإنتاج، يلجأ إلى إلحاق الأذى المادي به، كذلك عندما يكون تاجراً، أو خيّاطاً، أو نجاراً، أو حلاّقاً يحاول أن يروّج لبضاعته، أو يخفض من قيمتها، أو يسعى إلى تحسين جودتها، وقد يبلغ مرحلة يتخاصم فيها مع منافسيه، لكنه عندما يصبح سياسياً، فإنه يُنزل أشد وأقسى ألوان العقاب على منافسيه، يتجرّد معها من قيمه الإنسانية السامية، ليشمّر عن ساعد الشر وهو يرتكب الفظائع بحقهم، عندما يعتقلهم، ويزجهم في السجون، إنه يتحوّل إلى كائن هستيري يبيح لنفسه ارتكاب كل الموبقات بحق معارضيه.

عندما يشتغل المرء في السياسة، فإنه أول ما يفعل هو أن ينزع الرأفة من قلبه، وكل ما يراه، يفسره تفسيراً سياسياً محضاً، مثله كمثل المصاب بعقدة الجنس، فيجنح إلى تفسير كل ما يراه تفسيراً جنسياً.
حين يمضي في طريق، ويرى امرأة واقفة أمام بابها، فيتسرّب إليه شكُ بأنها تنتظر شخصاً ما، أو أن شخصاً ما يبادلها النظر، عندما تنظر إليه

امرأة، فإنه يفسر نظرتها إليه تفسيراً جنسياً، بل حتى عندما تقع منه نظرة على امرأة في مكان ما عن طريق المصادفة، فإنه يعتقد أن تلك المرأة فسّرت نظرته إليها تفسيراً جنسياً.
لذلك أتحاشى حضور مناسبات تجمعني بأهل السياسة ما أمكنني، وإن اضطررتُ إلى ذلك، أتحاشى مصافحتهم، أو النظر إليهم، وأنا أتخيّل بأن كل أشكال التعذيب اللا أخلاقية، ابتكرها أهل السياسة، وأزلامهم، كل الانتهاكات بحق كرامة الإنسان، ابتدعها هؤلاء في زنازينهم، وأقبيتهم المظلمة، وهم يتفرّدون بمعارضيهم، ويتجرّدون معهم من كل خصلة تمت إلى الروح الإنسانية العالية.

قالت: إذن أنت على تفاؤل
قال: تفاؤلي لا ينبع مما أعقد عليه آمالاً على أهل السياسة، ولو فعلتُ ذلك، لما كنتُ على صواب، لكن تفاؤلي معقود على هؤلاء الذين تتحدّثين عنهم، وقد استطعتي أن تستخرجي من أوساطهم أصدقاءك.
بالنسبة للكرد، هناك مسألة غاية في الأهمية، وقد تجلّت أمامي في إقليمنا بشكل أكثر وضوحاً بعد انتفاضة ١٩٩١
قالت: ماهي؟
قال: المجتمع الكردي هو الذي يصنع قادته وسياسييه، ولايسمح لهؤلاء أن يخترقوا قيمه المتوارثة، ومنظومته الاجتماعية، وهم أنفسهم يدركون هذه الحقيقة بشكل جيد.

هنا عزيزتي نضع أيدينا على مكامن قوة المجتمع، وكذلك مكامن قوة السلطة السياسية وهي تتخذ من عمق المجتمع الكردي مرجعية أساسية لها.

عندما تتحوّل السلطة إلى قوة نفوذ، وتخترق بنية المجتمع التحتية، وتنتهك قيمه، تستبدّ بقوته، وشياً فشيئاً تنخر في هذه القوة، وتحدث فيها تشرذمات وانشقاقات بغية إضعافها والحدّ من سطوتها حتى تنصب نفسها بديلاً، وعندذاك، عندما تتمكن من ذلك، تنظر للشعب بأنه تحت سن الرشد ويحتاج إليها كي توجهه، لأنه لو لم يكن كذلك، لما مكّنها منه بهذه السطوة، وهذا يجعلها تنصب من ذاتها وصياً عليه، فتختار له مَن يمثلونه، وعندذاك تنهار قوة المجتمع، ولا تكون ثمة قوة تنافس قوة السلطة في دولة يحكمها العسكر، ويتسلط فيها رجاله، فيتمادون حتى يبلغوا مراحل يرتعب فيها الناس من مجرد الحديث في بيوتهم خشية أن يبلغهم ما يقولوه، على هذا النحو يجعلون المجتمع في حالة تشتت وعدم الثقة ببعضه البعض، وكلما نالوا من مفصل جديد من مفاصل قوة المجتمع ،ازدادوا تمكناً منه.

لكن ما لم يحسب له هؤلاء حساباً هو أن هذه المجتمعات التي لا تستطيع أن تحمي نفسها من طغيان أنظمتها، فهي كذلك لن يكون بوسعها أن تحمي أنظمتها عندما تهب عليها ريح من الخارج، لذلك لم

يسمح الكرد لسياسييه أن يتجاوزوا هذا الخط، وربما أيقن سياسيوه أيضاً أنه لن يكون بوسعهم أن يكونوا أقوياء، إلاّ إذا كان الشعب الكردي قوياً، ولن يكون بوسعهم أن يكونوا أغنياء، إلاّ إذا كان الشعب الكردي غنياً.

هذه الحقيقة دفعت بعض أهل الحقد أن يوجهوا ضربة أليمة إلى مكمن هذه القوة التي يستند إليها الكرد في الإقليم.
قالت وهي تصغي بإنصات جم: تقصد مبنى البرلمان؟
قال: كانت رسالة بيّنة، ولذلك كان جواب الإقليم بيّناً كذلك على تلك الرسالة، فأصبح البرلمان بمثابة القلب الذي يضخ الدماء إلى شرايين عامة الشعب، تلك الرسالة التي تلقيناها، زادتنا ثقة بأن الإقليم يكون قوياً على قدر ما يتمتع به البرلمان من قوة، يكون غنياً على قدر ما يحتوي البرلمان من تنوع.

التفاؤل يا سيدتي هو الذي يكون مجدياً في واقع كهذا، هذا التفاؤل الذي يتكامل بمقدار ما يكنه بعضنا من الحب لبعض.
لا أستطيع أن أنسى منظر ذاك الرجل الذي دخل إلى مكتبي منذ نحو عشر سنوات، وشرح لي كيف أنه كان جندياً يقاتل الكرد مع بقية الجنود في هولير، وعندما سيطر الكرد على الإقليم واضطر الجيش للخروج، تم أسره مع أعداد كبيرة من الجنود، عندها رأى كيف أن الكرد أدخلوهم

إلى المساجد، والبيوت ليحققوا لهم الأمن، ولايسمحوا لأحد أن يوجهوا إليهم كلمة بذيئة، كانوا يطبخون لهم الطعام ويقدمونه لهم، وعندما هدأت الأمور، تركوهم يعودون إلى ديارهم في العراق وهم يقولون لهم بأن الأنظمة الجائرة ستذهب، ونبقى نحن الشعوب أخوة.
كان الرجل يبكي بحرقة وهو يتحدّث ويخبرني بأنه عاد مجدّدا لزيارة ابنه الذي يقيم مع زوجته وأولاده في الإقليم بحثاً عن أمن حققه الكرد بانتفاضتهم المليونية سنة ١٩٩١.

مانزال في بداية عهدنا في إدارة الدولة الحديثة يا سيدتي، وما يسندنا هو إقبال الكرد من كل الأنحاء كي يمنحوننا خبراتهم، ويستثمروا عقولهم في الإقليم.
كل الكرد يعملون بدأب من أجل كردستان، يعملون دون كلل أو ملل في سبيل كردستانهم، إنهم ينتشرون في كل بقاع العالم من مختلف إمكاناتهم وكل واحد منهم يسعى إلى تقديم وردة لكردستان.
صمت، ثم تسرّبت منه نظرة إلى ساعته وقال: إنه موعد الغداء جيانه كه م، ما رأيك أن نذهب إلى مطعم خارج الجريدة بهذه المناسبة؟
قالت: الرأي ما تراه يا أستاذي؟
خرجا معاً، وعندما رأت السكرتيرة، راحت تودعها.
أمام الباب فوجئ بأن سيارتها تقف إلى جانب سيارته، فاقترح أن يتركا سيارة واقفة، ويذهبا بواحدة، وعندما وافقت، قال: لنصعد سيارتك.

ابتسمت وهي تقول وتفتح له الباب كي يصعد بجانبها: هذا شرف لي عزيزم ، أن أقود سيارة تجلس أنت فيها بجواري.

قالتها ثم راحت تجلس على مقعد القيادة، وأدارت السيارة باتجاه المدينة.
قال: هل من مطعم تفضلين الذهاب إليه؟
قالت: بالنسبة لي، أنا سيدة بيتوتية، لا أتناول الطعام في المطاعم إلاّ نادراً.
قال: مادام الأمر كذلك، سنأخذ معنا الطعام ونتجه إلى طبيعة هولير.
قالت: ذلك أفضل من الجلوس في المطعم.
عندئذ طلب منها أن تتجه إلى أحد المطاعم، بعد قليل من الصمت قال: هولير جميلة في كل الأوقات، ثم استأنف وكأنه استدرك سؤالاً خطر له من قبل: هل تتبعين برنامجاً ينظّم لك الحياة سيدة سورين خان ؟
ضحكت قائلة: كل ما هنالك أنني أتحاشى الفوضى في قضاء الوقت، وهذا يجعلني أشعر بملئه دون أن ينتابني إحساس بالضجر، لكن دوما أترك وقتاً للفراغ حتى أتمكن فيه من إعادة ترتيب ما طرأ من تشتت، أو ما بدر مني من مواقف، أو ما اتخذت من قرارات.

يمتلك الإنسان مقدرة على ملء وقته حتى لو عاش في زنزانة.
على الدوام هناك ما يمكن للإنسان أن يقوم به، لكن يوجد إنسان يركن إلى التكاسل في البحث عمّا يقوم به.

عملية البحث هذه، وإن لم تعثرعلى الفعل، هي بذاتها اشتغال، لكنني بطبيعتي أركن إلى صفاء الهدوء، والاستمتاع بسماع موسيقى هادئة، وتناول كأس من شاينا الذي يتفوّح عطراً، ثم كأس من عصير التفاح ، هذه ساعات ذهبية بالنسبة لي.

لبث في حالة إصغاء إليها، فأردفت تقول : في اعتقادي أن الإنسان يستمدّ شيئاً من توازنه أيضاً من ثنايا ساعات الاسترخاء الروحي والعضلي معاً، وهو مستلقٍ على ضفة سجادة صفاء النفس.
ساد صمت لم يدم طويلاً، ففضّت شفافيته مدندنة: القراءة تأخذ حصة جيدة من وقتي، استطعت من خلالها أن أعقد علاقات روحية معرفية مع علامات مضيئة في تاريخ المعرفة الإنسانية، استطاعت أن تنير جوانب مظلمة من نفسي.

توقفت أمام باب مطعم، فنزل على الفور، وأوصى على طعام، ثم عاد قائلاً بأنهما يحتاجان إلى نحو نصف ساعة حتى يكون الطعام جاهزاً.

قالت: قرأت لك مقالاً تقول فيه: تمتاز كواليس السياسة دون غيرها بفيض التهابات الازدواجية، كلما هوى مديرها في حلكة براثنها، بدا لمعاونيه مصيباً كبد الظفر، وإذ لمسوا منه جنوحاً إلى عذوبة النقاء الإنساني، بدا لهم بأنه أخفق في وظيفته.

مع تراكم خبرة السنوات، يتحوّل المدير إلى ممثل بارع، يمضي جل أوقاته في ديمومة تمثيل حتى يغدو التمثيل نصب عينيه حقيقة، وتمسي الحقيقة تمثيلاً.

نظر إليها وللتو أدرك كم أنها تتابع قراءة مقالاته بجدّية، فقال: لم أكن أعلم أن إعجابك بمقالاتي يجعلك تحفظين هذه الكتابات.

قالت: بعض المقالات أعيد قراءتها مرات عديدة حتى أحفظها، وهذا يتيح لي كي أتعمّق فيها أكثر، لأن كل قراءة تكشف لي ما لم تكشفه القراءة السابقة، لذلك أقوم بقص أعمدتك، وألصقها على دفتر كبير، أعود إلى قراءتها في أوقات مختلفة.

أذكر بأنك قلت في تلك المقالة أيضاً يا أستاذ عن ذاك الشخص بأنه عند ذاك يرى كل فعل أمامه مبرراً، حتى وهو يشرع بنفسه في تصفية الآخرين، أو يقدم على إصدار تلك الأوامر.

كل مهنة يمتهنها المرء، في ألق توهجها تودي به إلى روح التنافس، بيد أن السياسة في ألق توهجها تودي إلى مزيد من الانتهاكات بحق الآخرين حتى يغدو السياسي البارع، منتهكاً بارعاً بامتياز.

لذلك يمكن أن تنتهي تلك المهن بأصحابها في ذروة الإخفاق إلى الإفلاس، لكن السياسة على الأغلب تتوّج أصحابها بما توجوه للآخرين.

قال: إنها مهنة التشويه يا عزيزتي، حتى الذين يتقرّبون من هؤلاء، أو يعملون معهم، لا ينجون من هذا التشويه، فلا يغدو بوسعهم أن يكونوا طبيعيين ليس مع الآخرين فحسب، بل حتى مع أنفسهم.
ثم استأنف يقول: إذا نظرتي إلى ما يحدث في بلاد المسلمين، يمكنك أن تلمسي الخيط الممتد بينها وبين أحداث سبتمبر، وبذلك يمكنني أن أقول لك أن المسلمين ما يزالون حتى الآن يدفعون ضريبة أحداث سبتمبر.
إذن، الآن لم يعد أحد يكيل كل تلك التهم لأمريكا، أو لإسرائيل بأنهما يشكلان العداوة المشتركة لأمة العرب والمسلمين، بل من منجزات هذه الثورات بالنسبة لإسرائيل أنه تبيّن للكثيرين بأن إسرائيل هي أكثر رحمة مما يفعله حكّام المسلمين بشعوبهم، ومن منجزاتها أن المسلمين باتوا يستجدون أمريكا كي تأتي وتخلّصهم من جور حكامهم.

تقدّم عامل من المطعم إلى السيارة وهو يحمل الطعام، ففتح له الباب الخلفي ليضعه، ثم انطلقا إلى ركن هادئ من طبيعة هولير.

* * *

عندما فاحت رائحة الطعام في السيارة، قالت: طعام البيت بالنسبة لي هو الأفضل، لكن من باب التغيير أحياناً ألجأ إلى المطاعم.

رأى دشتي نفسه أمام فرصة جديدة يكتشف فيها ملامح شخصيتها، فقال: لكن مالذي يجعلك تكتشفين أبطالك في الحياة، ألا يمكن أن يتزيّا البعض بثياب الأبطال، وقد تكتشفي، أولا تكتشفي بأنك إزاء الظواهر، لا الجواهر.
قالت: أعوّل - حياتم - في هذه المسألة على الحدس بشكل جيد، لأنه يمكن أن يقدّم لي كثيراً مما هو هام.
ركنت إلى قليل من الصمت، ثم شرعت تقول وهي تستأنف قيادة السيارة على مهل: لايصيب الإنسان كثيراً في مواراة علامات الرياء التي تكون أعلى مما أوتي من طاقات لمواراتها، مهما أوتي من ذكاء، وحنكة، لأنها تبدو جلية في مواقفه، في نبرات صوته، في نظراته، في قسمات وجهه، لكن الذي يكون على تواضع في ملكة إمكانية النفاذ إلى رؤية هذه العلامات، هو الذي يصيبه أكبر قدر من الخداع.

عندما جلسا في ركن من طبيعة هولير الخلاّبة وشرعا في تناول الطعام قال: إذن هناك ما يلفت نظرك من مزايا في هؤلاء الأشخاص.

قالت وهي تهزّ رأسها: هكذا هي المعادلة التي يمكن قلبها أيضاً يا أستاذي، فنصبح أمام أن المرء لا يملك ملكات تمكّنه كي يواري علامات خصاله الحميدة مهما سعى إلى حجبها.
ثم أردفت وهي تصبّ كأسين من اللبن الرائب: المتعة هنا لا تتحقق بقدر ما يقدّم لك هذا الشخص خصاله الحميدة، بل بمقدار ما تتمكن أنت من اكتشاف هذه الخصال فيه واستنتاجها من صميم علاقتك به.

كما أن الشعور بمتعة الاكتشاف، لايتحقق عندما يقدّم الآخر نفسه لك بأنه مخادع، بل بقدر ما تتمكن أنت من استخلاص هذا الخداع من مقومات شديدة الغموض، لأن المخادع الذكي دوماً يجنح خلف حركات مبهمة، ويتقصد مواقف غامضة ومتناقضة حتى يجنّب عن شخصيته معالم الوضوح ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

قال: ما أكثر ما يلفت نظرك في الأشخاص يا سيدتي؟
قالت: الصدق
قال : ثم؟
قالت: الأمانة
قال : ثم؟
قالت: الكرم
قال: ثم؟

قالت: الوضوح
قال: ثم؟
قالت: خصلة كظم الغيظ التي هي مزيج من مسك شجرة الحكمة، وأريج زهرة الصبر.

راوده إحساس بأنه أمام امرأة يتعلّم منها رغم أنها تصغره بثلاثين سنة، وخبرتها في الحياة لا تتجاوز خبرته، فزاد ذلك لديه من اليقين بأن لا سبيل إلى معرفة الإنسان سوى الإنسان، وهو خير دليل إلى معرفة الإنسان.
إذ ذاك: همهم في سرّه وهو ينظر إليها نظرات إعجاب: لا يكتفي الإنسان أن يعرّفني على نفسه فقط ، أو يعرّفني على الآخرين، بل يتجاوز ذلك كي يعرّفني على ما كنتُ أجهله عن نفسي أيضاً.
لبث يصوّب نظره إليها ويخال له أنها مرآة ينظر فيها إلى ما لم يسبق له أن رآه في نفسه. آنئذ لم يملك نفسه من مساءلتها: لكن ياسيدتي، ما هي الخصال السلبية التي تلفت نظرك في الأشخاص؟
قالت وهي تلتفت إليه وتحدّجه بنظرة سريعة: الزنا، ثم بعد قليل من الصمت أردفت: خاصة عندما يكون بين رجل متأهل، وامرأة متأهلة.
ذلك لايلفت نظري فحسب، بل يُشعرني بحالة من الغثيان مما اقترفه هذان الشخصان، وقد خرجا من منظومتهما الأخلاقية، والقيمية، والإنسانية في ذات اللحظة التي أقدما فيها على فعلهما الشائن ذاك، هذا

الخروج فحسب، يتيح لهما مزية تجاهل أن ما قاما به إنما هو اعتداء وانتهاك لحرمات عائلتين قائمتين، إنه انتهاك لحرمات أطفال صغار يقولان له: أبي.
ويقولان لها: أمي.
إنه عمل غير محترم يبدر من زوج تجاه زوجته، ومن زوجة تجاه زوجها.

الرجل الذي يحترم امرأة أو يبدر نحوها مشاعر الاستلطاف والتقدير، يتردد من الإقدام على فعل كهذا بحقها قبل أن يُسقطها أولاً في عينيه من منظومتها الأخلاقية والقيمية والإنسانية، وكذلك يُسقطها في نظر نفسها، وفي أنظار الآخرين إليها حتى لو لم يكتشفوا فعلها، بيد أنها تقرأ هذه الإدانة من خلال نظراتهم إليها، ومن خلال علاقتهم بها.
إنهما بفعلهما هذا يزلزلان أركان بيتين، ويزرعان بذرة العداوة والبغضاء بين عائلتين
متحابتين .
لذلك أنظر إلى هذا الفعل بأنه ممارسة عملية لذروة مشاعر العدوانية الإنسانية، والحقد البشري الذي يبدر من البعض تجاه بعض آخر .
قال: ثم ؟
قالت: الكذب، لأنه يطفئ في الإنسان منارته الإنسانية
قال: ثم ؟
قالت: البخل، لأن لاشيء يبرره سوى تفاقم نزعة الأنانية

قال: ثم؟

قالت: النفاق، لأنه يجعل الإنسان مزدوجاً، ويحرمه من صفائه الذاتي.

* * *

عندما عادت إلى البيت، كانت الساعة تشارف على الثانية والنصف، توقعت أن الجميع في حالة القيلولة، لذلك لم ترنّ الجرس، بل أخرجت مفتاح الباب من حقيبتها، وفتحته لتدخل إلى البيت الغارق في هيبة صمت.

اندفعت على الفور إلى غرفة ابنيها ريوان، وديلمان، فرأتهما يستلقيان على سريريهما وقد غفيا، ثم راحت صوب غرفته، مدّت كفها إلى قبضة الباب، وأدارتها، فألفته نائماً على سريره بعينيه المفتوحتين قليلاً، حيث

اعتادت على رؤية عينيه على ذلك وهو نائم، ثم راحت صوب غرفة الخادمة، فرأتها مستلقية على سريرها.
راودها إحساس بأنها تفقدتْ كل مَن في البيت، واطمأنت عليهم، آنئذ راحت تلج حجرة نومها، وتستسلم لغفوة القيلولة باسترخاء.
عندما بلغت الساعة الخامسة ، استفاقت على صوت الخادمة التي تمتمت: صح النوم سيدتي.
شكراً لك يا روزة. قالتها وهي تتمطط تحت البطانية في دفء فراشها.
هل تشربين الشاي لوحدك هنا، أم ستجلسون معاً؟
قالتها وهي تدرك أن سيدتها أحياناً تصدر لها أوامرها كي تذهب وتيقظ مَن في البيت، حتى يستمتعوا بهذا الطقس معاً، وفي بعض الأحيان، تطلب منها أن تستمتع بمفردها باحتساء كأس كبيرة من الشاي مع قطعة كاتو، مع سماع الموسيقى من جهاز اللابتوب.
حينها تأخذ إلى كل شخص كأس شايه، وتقول بأن سيدتها موجودة في حجرتها.

عندما أخبرتها بأنهم سيجلسون معاً لاحتساء الشاي، فرحت الخادمة بسماع ذلك لأنها فرصة بالنسبة لها كي تشاركهم الجلوس وينتابها إحساس بأنها باتت جزءاً من هذه العائلة التي أحبتها وتعلقت بها، وهي تداوم على عملها في خدمتهم منذ عشر سنوات متواصلة.

عندما بلغت صالون الجلوس، رأت ابنيها يتقدمان إليها ويقبلان يدها، قبّلتهما ثم أشارت للخادمة أن تذهب إلى غرفة (نورس) وتأتي به، فسارعت الخطا إليه، وبعد قليل عادت ما سكة بيده، عندذاك نهض الجميع، حتى أجلسته في موضعه على الكنبة، واتجهت إثر ذلك إلى المطبخ، أحضرت إبريق الشاي، وقالب الكاتو، وشرعت في صب كاسات الشاي الكبيرة، وشطر الكاتو بالسكّين وتقديمه في صحون صغيرة، عندئذ تلقت إيماءة من سيدتها كي تشاركهم الجلوس.

بعد نحو ساعة، راحت تصنع لهم أكواباً من عصير البرتقال، وتقدمه مع صحون صغيرة من /الجرزات/ المكوّنة من فستق عجمي، وبندق، ولوز. حين فرغوا من ذلك، قامت روزة بأخذ نورس إلى غرفته بعد أن تلقت إشارة من سيدتها، ثم اتجه الشابان إلى غرفتهما للدراسة، في حين لبثت السيدة في الصالون وقد استلقت على الكنبة، وراحت تقلّب القنوات الفضائية.

عندذاك، دخلت روزة المطبخ وبدأت تعدّ العشاء، ثم ما لبثت أن ارتدت ثياب الخروج واستأذنت سيدتها بالانصراف قائلة: العشاء جاهز في الأطباق يا سيدتي، هل تأذني لي بالانصراف.
طلبت إليها أن تكسر لها حبة جوز الهند، وتقدم لها كاساً من مائه، فمالبثت المرأة أن قامت بما أمرتها سيدتها، وبعد أن وضعت الكأس مع

صحن صغير من شرائح جوز الهند الناصعة البياض على الطاولة أمامها، طلبت الإذن بالانصراف.
هزّت رأسها قائلة : تفضلي ياروزة.
بعد قليل تناولت المرأة ديواناً من شعر جلال الدين الرومي وشرعت تقرأ فيه مستمتعة برشفات من ماء جوز الهند وتناول بعض شرائحه، حتى بلغ موعد تناول العشاء.

حينها نهضت من مجلسها، ودخلت المطبخ، أعدّت مائدة العشاء، ثم راحت تنادي ابنيها، ومن هناك ولجت إلى غرفته، رأته مستلقياً على السرير يلفه صمت، عندما وقعت نظراته عليها، بدأ يتمتم ويضحك دون أن يتمكّن من لفظ كلمة واحدة، لا تدري لماذا أحسّت برغبة جامحة كي تطبع قبلة على ظاهر كفه.
اغرورقت عيناها بالدموع، فأخذت كفه براحة كفها، وطبعت قبلتها، ثم رفعت الكف إلى جبهتها، وأتت به إلى المطبخ حيث مائدة الطعام.

عندما وقعت أنظار الصبيين على أبيهما، هبّا واقفَين حتى أجلسته على كرسيه.
قشّرت له بيضة، وأخذت تطعمه وهي تتخيّل أنه كان يحب العسل واللبن، ويتجنّب صفار البيض، تقلّد ما كان يفعله عندما كان يتناول

الطعام بنفسه، تحاول أن تجعله متواصلاً مع الطقوس التي كان يمارسها.

في الصباح عندما تأتي روزة، تيقظه، وتغسل له يديه ووجهه، تحلق ذقنه كل يومين، ثم تدخلانه معاً الحمّام في الصيف كل يوم، وفي الشتاء كل يومين.
عندما يكون الدجاج على مائدة الغداء، تقطع له شريحة كبيرة من الصدر، وتضعها في طبق أمامه وهي تتذكر أنه كان يفضل تناول صدر الدجاج، بعد ذلك تقشر له الفاكهة وتقدمها له، ثم تجعل الخادمة تأخذه إلى غرفته كي يستريح قليلاً بعد تناول الغداء.
تحرص أن تأخذه إلى الحدائق، إلى النزهات، إلى أماكن كانوا يتناولون فيها الطعام في أوقات متقطعة .

انتبهت بغتة بأن ريوان، وديلمان، لايأكلان وهما ينظران إلى شرودها.
استدركت الأمر، ماسحة دموعها وشرعت تتناول لقمة، وتضع لقمة في فيه.
عندئذ بدأ ينتابها ذات الشعور الذي أحسّت به بالأمومة نحوه لأول مرة منذ نحو عشر سنوات عندما أحضرته من المشفى إلى البيت، وبعد نحو شهرين من وجوده بينما كان جالساً مع ابنَيه، أتت من الخلف والتبس عليها التمييز بينه وبينهما، فاضطرت أن تأتي قبالتهم كي تميزه عنهما، عند

ذاك قفز شعور مباغت بالأمومة نحوه إلى صدرها وهي تحدّق ملياً في ذاك الشبه الكبير بين فلذتَي كبدها وبينه، ولم يلفت نظرها آنذاك شبه البشرة فحسب، بل شبه الأعضاء، ونبرات الصوت، وحتى تسريحة الشعر.

في تلك اللحظات لا تدري لماذا راحت تقلّب ألبومات الصور القديمة حتى وقعت على صور له عندما كان شاباً، وجرت بها قائلة لهما: بربكما ألا تشبهانه كثيراً عندما كان شاباً.
تناول الصبيان الصور وراحا يقارنان بينها وبين ملامحهما، ثم يقعان بالقبلات على أبيهما الذي مافتئ يتمتم ويحرّك ساعدَيه ويضحك دون أن يعينه لسانه كي ينطق بكلمة واحدة، أو تسعفه ذاكرته كي يدرك بأنه عندما كان يجلس مع ابنيَه، كان يحتضنهما، يقبّلهما، وهو الذي اعتاد على تقبيلهما بكثرة.

هاهو عقد من الزمن يمضي، وحتى في مناسبات الأعياد لا يحظيان منه بقبلة واحدة، وهما يقعان بالقبلات على وجهه ويدَيه، لكنهما يرضيان نفسيهما، وهما يلصقان خدّيهما بفمه ويقولان: هذه قبلة من أبينا.

تستغرق مرة أخرى في شرودها، وهي تمتلئ شعوراً بالأمومة نحوه، عندما اتخذت قرارها الجازم بحضوره إلى البيت، بدأت للتو تكتشف قوة علاقة

المرأة بزوجها، تكتشف مزايا ما يمثله الرجل الزوج وما يتفرّد به دون غيره بالنسبة لزوجته.

إنه لوحده دون غيره يتمتع بكل ما يمكن للزوجة أن تحتاجه في الرجل، مزايا الأب، مزايا الأخ، مزايا الأبناء، مزايا الأقرباء.
يمتلك أن يجمع في نفسه كل المزايا، لذلك تتخذ المرأة قرارها التاريخي بأن تتخلى عن الجميع، وتذهب لتعيش معه في أي بقعة يكون فيها حتى لو أقامت معه في خيمة بمعزل عن العالم برمته، ولم يرزقها الله منه بأبناء.

في تلك اللحظات الرهيبة التي بلغها نبأ سقوطه من البناء الذي كان يشرف على مخططه الهندسي، هرعت فاقدة صوابها حتى بلغت المشفى وهي تتخيّل لأول مرة بأنه حتى وإن طلّقها، بيد أنها كانت تأنس بوجوده في المدينة على مقربة منها، وأنها في أي وقت يمكن لها أن تستدعيه، أو تذهب لرؤيته، لكن الآن وقد وقع الحادث الأليم، انتابها إحساس عميق بقوة الخسارة التي لا تجاريها خسارة، لذلك انبثق اتخاذ القرار فور رؤيتها له، ويقينها أنه مازال على قيد الحياة، اتخذت بينها وبين نفسها عهداً بأنها لن تتخلى عنه تحت أي ظرف، إنه الرجل الأوحد في حياتها الذي لا مثيل له، ولا يمكن لأي رجل بعده أن يرتقي إلى منزلته في نظرها وفي مشاعرها.

هكذا رأت نفسها تتحدى حتى قرار أخيها /سوران/ الذي تذرّع تحت حجة الدين بأن ذلك لا يجوز من منطلق ديني، كونه قام بتطليقها، وهو الآن غريب عنها، ولا يجوز له أن يعيش معها في بيت واحد، عند ذاك واجهته بفتوى من أحد فقهاء هولير المستنيرين الذي جاء إلى الطبيب قبل أن يصدر فتواه، فأخبره الطبيب بأن هذا الرجل قد فقد ذاكرته، وأنه يرى، بيد أنه لا يميّز وجهاً عن آخر، وسمعه جيد، لكن ذاكرته غير قادرة على استيعاب الكلمات التي يسمعها وهي تصله بشكل متداخل كما لو أنها دندنات، وليس بمقدوره أن ينطق كلمة لأن ذاكرته تفشل في صياغة الحروف وتحويلها إلى كلمات للنطق بها، كما أن قدراته الجنسية مصابة بالعطب.

ثم وجّه كلامه إليها قائلاً: لذلك أنصحك يا سيدتي ألاّ تدعي النوافذ دون أشباك حديدية لأنه مثل الطفل الذي يتعلم المشي للتو، يمكن له أن يرمي نفسه من أي نافذة مفتوحة، كما أنصحك أن تستخدمي له الحافظات لأنه لايميّز بين الأماكن، ولايميز ماتبدر منه من أفعال.
ثم أردف يقول: إن كانت إمكاناتكم المادية جيدة، أرى أن تستعيني بامرأة تقوم على خدمته وتكون عوناً لك.

عندها أصدر الفقيه فتواه بأن الحكم على رجل كهذا هو كالحكم على طفل صغير، ولا حرج إن عاش مع مطلقته وطفلّيه منها في بيت واحد كي تقوم برعايته، فلم يملك سوران إزاء ذلك غير أن يذعن لفتوى الفقيه. مسحت دموعها كرة أخرى، وشرعت تضع لقمة في فمه، ثم لقمة في فمها، وعندما فرغت، أمسكت بيده، أجلسته في الصالون، وما لبث الصبيان أن جاءا يستمتعان بالجلوس مع أبويهما.